

روايات مصرية للجيب

2

خاطفوا الأجساد

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافاري) مصطلح غربي تم تحريفه عن كلمة (سفرية) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافاري) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش في أدغال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافاري) التي سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض في القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهي .. وبيئة معادية .. وأهال متشككين .. بطلنا الذي سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصري ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط أدغال (الكامبيرون) ، وفي بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطار لا تنتهي في كل دقيقة ..

وفي هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه في ذلك العالم العجيب الذي لم تنجح الحضارة في تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين

لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي يظل حيًا .. وكى يستطيع في الوقت ذاته أن يظل طبييًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافاري) في (الكامبيرون) .. تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافاري) ..



www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

١- حياة هادئة نوعًا ..

الحياة دون حميات نرفية !

إنها الجنة بعينها !

صحيح أن هذه الفترات لا تطول كثيرًا في إفريقيا ..
لكن هذا بالذات هو ما يجعلها خليفة بالاستمتاع بها ..
كنا نقضى أيامًا هادئة منتظمة بعد ما زال آخر
أثر .. ومات أو شفى آخر مريض بفيروس الـ (كفا -
موجورو) .. أو - تذكرون - العيون اللواتى تسيل
دمًا .. وبدا أن الحياة تبتسم من جديد ..

★ ★ ★

وفى المساء - حين لا أكون نوبتجيًا - كنت أقضى
الوقت فى حجرتى عارى الجذع بسبب الحر الشديد ..
أريح قدمى على الحائط البارد نوعًا وأرمق مروحة
السقف فى عتاب .. إنها - تلك الحمقاء - تحسب أن
الغرض من صنعها أن تحدث ضوضاء لا أن تبرّد
الجوّ .. شخص ما قال لها كاذبًا إنها جهاز لطرّد
الأشباح وليست مروحة ..

أتسلى بكتابة أبيات من الشعر الرديء ، أو أكتب
خطابًا لأمى أخبرها فيه أننى لم أمت بعد ، أو أعدّ
الدولارات التى أتوى أن أرسلها لها ..

إن طبيعة الحياة هاهنا تسمح لى بالاحتفاظ براتب
شهر وإتفاق راتب شهر آخر .. أى أن متوسط
ادخارى هو اثنا عشر ألفًا من الدولارات فى العام ،
تركت لأمى حرية إتفاق ما تريد منه .. لكنى أعرف
أمى جيدًا .. وأعرف أنها لن تمدّ يدها على دولار واحد
مهما كانت الحاجة تخنقها ..

والطريف هاهنا أننى - وقد بدأت حالتى المادية
تتحسن - صرت أكثر زهدًا فى المال .. لقد أردته
بعنف يومًا ما .. حين ذهبت إلى بيت (نسرين)
أطلب يدها .. ولم أفلح ..

أما اليوم - بعد ما ضاعت (نسرين) - لم يعد
للمال جدوى .. إنه شبيه بجائزة (نوبل) التى حصل
عليها (برنارد شو) فى ذروة نجاحه ، فأبى أن يقبلها ..
وقال إنه كان بحاجة إليها فى الماضى حين كان شابًا
فقيرًا .. أما اليوم وبعد ما صار ثريًا فهى أشبه بطوق
النجاة الذى يلقى للغريق بعد وصوله للشاطئ !

عبرى حقاً هو ذلك الرجل ..

أما عنى أنا فالمال أشبه بطوق النجاة الذى يلقى للغريق بعد ما شبع غرقاً ، وبعد ما التهمت الأسماك أنفه ، واتخذت الطحالب مأواها فى أذنيه ..
إن المال فتاة لعوب لكنك تهواها .. كلما ناجيتها تركتك وسخرت منك .. فإذا نسيت أمرها عادت تتودد لك فى رقة ..

حاولت نظم قصيدة بهذا المعنى لكنى فشلت .. إن استخدام (الطاء) كحرف روى للقافية أمر عسير حقاً ..

★ ★ ★

وبعد تناول الإفطار فى الكافتريا أتجه إلى العيادات الخارجية ..

إنها - تذكرون - تقع فى الذراع الطويلة لحرف (L) اللاتينى الذى شيد على شكله مبنى (سافارى) ..
الثامنة صباحاً بالضبط تبدأ الحالات بالدخول لى ، وسط سيل من عبارات السباب التى لا أفهمها والحمد لله لأنها بلغة (البانتويد) .. والسباب يوجهه الممرض الكاميرونى (بودرجا) للمرضى .. ويوجهه

المرضى للممرض .. والسبب لا أعرفه لكنه يتعلق بنظام الدخول حتماً ..

أجرى كشفاً دقيقاً على كل حالة .. فإذا وجدت أنها تقع فى نطاق علمى عالجتها ، وإن أحسست أنها أكبر منى قمت بتحويلها إلى المختص المناسب فى كل فرع من فروع الطب ..

ربما تظاهرت بالغباء وقمت بالتخلص من كل مرضى بإرسالهم إلى المختصين .. لكن هذا لا يطول .. فالكسول أو الجاهل أو المتظرف يفتضح أمرهم سريعاً فى (سافارى) .. وسرعان ما تجد الطبيب المختص واقفاً أمامك يرغى ويزبد كالثور .. ويقول :

- « أترسل لى حالة التهاب باللوزتين ؟ إما أنك تمزح مزاحاً سخيفاً .. وإما أنك أحمق ! »
عندها تحمر أذناك خجلاً .. وتتظاهر بأنك تمزح حتى لا تظهر بمظهر الجهلة .. إن السماجة أفضل من الحمق على كل حال ..

لهذا تجد مسئولية كبيرة على كاهلك .. الخوف من أن تخطئ فتؤذى المريض .. والخوف من أن تخطئ فيلومك المختص .. الخوف من الاستهتار بالمرض والخوف من تقديره أكثر من اللازم ..

وتمرّ الطيبية الكندية الحساء (برنات) ، فتلوح
بذراعها لى قائلة :

- « هاى ! »

وتكور أنفها بأسلوب (التشنكية) كما نسميه فى
(مصر) .. فألوح بذراعى أنا الآخر وأردّ تحيتها بخير
منها .. ثم أوصل العمل ..

المريض الأول يعانى حكاكاً متواصلاً .. حكاكاً
حرمه أية قدرة على النوم .. عيناه حمراوان كقدحين
من الدم .. ووجهه مرهق متعب .. إن أشياء كهذه
تراها بعينيك ولا تحتاج إلى ترجمة الممرض ..

على جسده لا تجد شيئاً ذا بال سوى الخدوش
العديدة التى أحدثتها أظفاره .. مئات الجروح الملتهبة ..
لكن لا شىء آخر .. ولا يمكنك أن ترى تلك الأنفاق
الصغيرة المميزة للجرب ..

فقط هناك نقط سوداء تتبادل مع نقط بيضاء على
ساقيه .. والجلد جاف مجعد متصلب فى أكثر من موقع ..

التشخيص : لا تشخيص .. إنها واحدة من تلك
الحالات المألوفة التى لا أدري - بوصفى شاباً حديث
الخبرة - كيفية البدء فيها ..

وعلى الورق أخط عبارات تحويل المريض إلى
مختص الأمراض الجلدية .. ثم أصرفه وأمر بإدخال
المريض التالى ..

وبعد دقائق يجىء مختص الأمراض الجلدية
د. (حشمت خان) ، وهو باكستانى فى الأربعين من
عمره .. فأهتف فى هلع :

- « لا تقل إنها حالة جرب عادية ! »

- « لا ليست جرباً .. »

ثم يشرح لى ما استخفى عنى .. وهو أننا فى
(الكامبيرون) .. والهرش فى (الكامبيرون) له أسباب
يطول ذكرها .. لكن ...

- « .. إذا لاحظنا الجلد على ساقه لوجدناه يشبه

جلد السحلية .. وبطنه مبقعة كجلد الفهد .. »

صحت وقد أضىء ذلك المصباح فى عقلى :

- « .. جلد الفهد .. هل تعنى ؟ »

هزّ وجهه الأسمر فى رزاة .. وقال :

- « إنه مصاب بعمى الأنهار .. الـ (أونكوسيركا) ..

أرسله إلى المعمل لإجراء عينة من الجلد ثم أعطه

بعض الـ (إيفيرمكتين) .. »

وابتسم وأنصرف ..

هذا هو طابع العمل لدينا .. كل شيء ممكن
وموجود .. لكن هذه الخبرات لا يمكن اكتسابها من
الكتب ..

وعمى الأنهار - لمن لا يعرف - هو لعنة وسط
وغرب إفريقيا .. حيث تلدغك ذبابة صغيرة ، فتصيبك
بعدوى دودة صغيرة بدورها ، اسمها (أونكوسيركا) ..
وسرعان ما يلتهب جلدك وتبدأ في الحكاك .. ثم يصير
مبرقشًا كجلد الفهد ملينًا بالعقد والانتفاخات ..

الجميل في الموضوع هو أن الدودة لا تترك عينيك
وشأنهما إذ سرعان ما تجد طريقها إلى هناك ، وتبدأ
عملية تخريب نشطة للشبكية والقرنية .. ويكون
العمى هو نهاية المطاف ..

لهذا يسمون المرض باسم (عمى الأنهار) ..
وهناك قبائل بكاملها قد كفأ بصرها ، لمجرد قربها
من الأنهار التي تترعرع فيها تلك الذبابة الشريرة ..
ويوجد هذا الداء بصورة مخففة في (اليمن)
ويحمل اسم (السودة) ، كما أنه موجود في (أمريكا
الجنوبية) ويسمونه (إريثيما دي لاكوستا) ..

كل هذا في الكتب .. لكنك - صدقتي - لن تعرف
أول حالة من عمى الأنهار حين تراها ..
كان هذا هو أول أغاز اليوم .. ثم توالى الأغاز ..
بعضها واضح وبعضها شديد الإبهام .. وأكثرها ليس
لغزًا على الإطلاق ..

ولا بد أن الظهيرة كانت قد انتصفت ؛ حين رأيت
ما أثار اهتمامي ..

★ ★ ★

صوت سيارة الإسعاف ثم صوت النقالة المعهود ..
كليك كراك كليك ! ثم افتح المكان أربعة ممرضين
سود يجرون - وهم ينحنون كي يصلوا لمستواها
المنخفض - تلك النقالة البرتقالية اللعينة ، التي هي
هدية من منظمة الصحة العالمية ..

وكان أحدهم يحمل زجاجة من المحلول موصولة
إلى الوريد العنقي لما بدا لي كامرأة شابة من الأهالي ..
كانت غارقة في الدماء .. لكنني أدركت أن ذراعها
منزوع تمامًا ..

ولم أحتج لذكاء كثير كي أعرف أن حالة صدمة
عنيفة توشك أن تودي بحياتها .. لهذا حقنوها في

الوريد العنقي لأنهم لم يجدوا أوردة في نراعها .. هنا
لا يكون الوقت وقت الأسئلة .. بل وقت الأفعال ..
صحت في الممرضة كي تخبرهم بالأمر في وحدة
الطوارئ .. ثم ركضت إلى هناك حيث كان ثلاثة
أطباء ألمان يحتسون القهوة .. فما إن رأوا المشهد
المريع حتى هبوا كالملسوعين يحققون المرأة بمزيد
من المحاليل ، وهرعت ممرضة كي تأخذ عينة من
دماء المصابة لتجد فصيلة دمها .. على حين حاولت
منع النزف بربط ما تبقى من الذراع ..

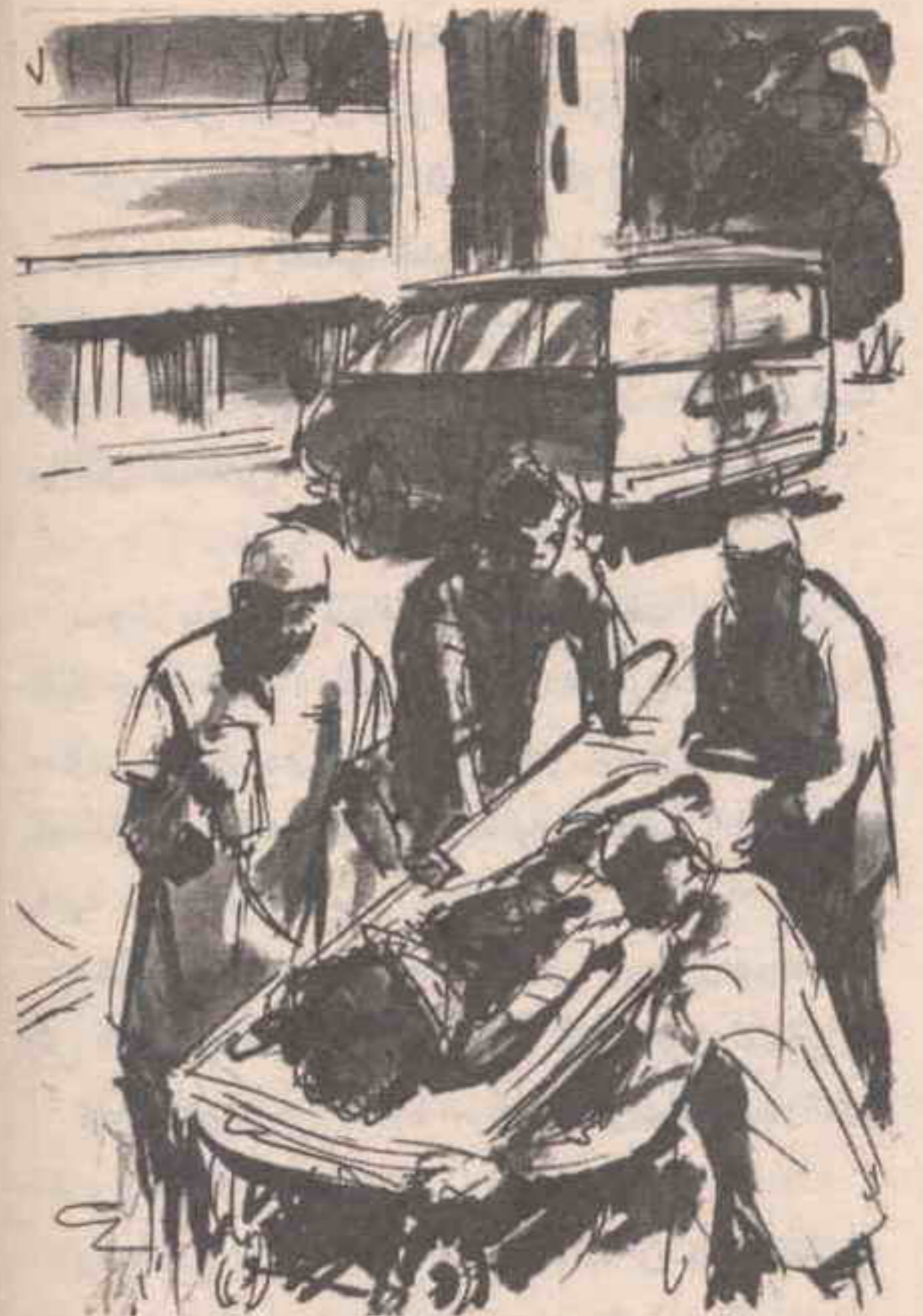
★ ★ ★

لُفوا فراش المريض سريعاً .. لُفوا ..
إن الموت يحاول الوقوف عند رأس المريض ..

★ ★ ★

أفرغوا محققاً من (الإبينفرين) في قلبها .. وراح
جهاز التنفس الصناعي يصدر حفيفه المألوف ..
وتناول (بيتر) الطبيب الشاب قطبي جهاز الصدمات
الكهربية ودعكها في بعضهما ، ثم أصدر الصيحة
المعهودة :

- « إخلاء ! »



بدا لي كأمرأة شابة من الأهالي ..
كانت غارقة في الدماء ..

ولمس بالقطين صدر المريضة فانتفضت على ذلك
النحو المثير للشفقة .. لكن لا جدوى .. لقد توقف
القلب تماماً ..

- « إخلاء ! »

من جديد دوى صوت الصدمة الكهربائية لكن
لا جدوى .. لقد ماتت ..

★ ★ ★

أخيراً - وبعد نصف ساعة - من المحاولات
المستميتة ؛ عرفنا أن الموت قد كسب المعركة ، وأنه
قد وقف عند رأس الفراش ..

ورقدنا على الأرض نلهث .. ملوثين بالعرق
والدماء .. وتبادل الألمان بضع كلمات بلغتهم الشبيهة
بهدير (المترليوز) .. ثم قال لي أحدهم وهو يرفع
خصلات الشعر الأشقر عن عينيه :

- « حظ سيئ .. »

قالها بالإنجليزية طبعاً .. فرددت وأنا أحاول
النهوض :

- « نرقت كثيراً .. ثم الصدمة العصبية .. لا أعرف
نساء كثيرات انتزعت أنرعهن بهذه الشراسة .. »

- « حقاً .. »

ثم سأل أحد المسعفين الذي وقف يرمق المشهد في
حيرة :

- « هل هو أسد ؟ »

لم يفهم المسعف ما يقول .. فأصدر صوت زئير
من حلقه ليفهمه :

- « أسد .. روالآررر ! »

هزّ هذا رأسه وقد فهم .. فصاح :

- « (كوبو) .. أسد ؟ لا .. لا .. »

- « إذن هو تمساح ؟ »

هنا قال بضع كلمات بلغة (البانتويد) لم نفهمها
قطعاً ..

قال (بودرجا) الممرض الكاميروني مفسراً لي
وقد رأى الغباء على وجهي :

- « إنه يقول إن روح الأدغال هاجمتها ! »

★ ★ ★

٢ - روح الأدغال ..

كنت قد سئمت هذا الهراء الذى نسمعه ليل نهار
هاهنا .. هناك الـ (داوا) السحر الأسود - وروح
الأدغال ، وشياطين الأشجار ، وكل ما يمكن تخيله ..
كأن الإنسان لا يموت بالعدوى أو الحوادث أبدًا ..
إن (الكامبيرون) تعج بالوحوش .. بالغوريلا ..
بالشمبانزى .. بالقرودة .. بالأسود .. والمستنقعات
الرهيبه قرب بحيرة (تشاد) تعج بالتماسيح الإفريقية
التي لا تفهم المزاح ..
لهذا لم أجد شيئًا غريبًا أو خارقًا للطبيعة فى كل
هذا ..

★ ★ ★

كانت الثامنة مساءً .. وكنت أنا فى الحمام أشذب
لحيتى المحيطة بى .. لا بأس بها أبدًا .. أولاً هى
تريحنى من الحلاقة مع وجه ملاء الحر والعرق
بالحبوب .. ثانياً هى تعطينى مظهرًا موحياً برهبان
العلم ، وتقلل من ملامح الطفولية التى لا تقنع أحدًا ..

كنت أشذب لحيتى حين دق الباب .. فتحتة فى غير
حماس فوجدت العامل (دايبلا) الذى حياى وأخبرنى
أن المدير يريدنى ..

وحين يحتاج إلى بروفسور (موريس بارتليه) فى
الثامنة مساءً ، أعرف أن فى الأمر مصيبة ما ، لكننى
أعرف دائمًا كيف أخدع هذا الرجل .. فهو يفتقر إلى
الحزم ، وثوراته إدعاء أكثر منها حقيقة ..

ارتديت المعطف واتجهت إلى مكتبه ، وفى ذهنى
استعرضت المصائب التى ارتكبتها اليوم فلم أجد سوى
مريض الـ (أونكوسيركا) - عمى الأنهار - الذى
فشلت فى تشخيص حالته .. واضح أن الباكستاتى
الثرثار قد اشتكى للمدير ..

وصعد الدم إلى رأسى .. المفترض أنى شاب
حديث الخبرة .. والمفترض أنى أتعلم .. فإن كانوا
يريدون مستوى أفضل فى استقبال الوحدة فليجلسوا
هم مكاتبى .. أو لينتظروا (ابن سينا) حتى يعمل عندهم ..
أدخلتنى السكرتيرة الفرنسية الحسنة إلى مكتب
المدير ، فسألته وأنا أمسح حذائى فى قماش سروالى
من الخلف :

- « هل هي كارثة ؟ هل يطالبون برأسي ؟ »

ابتسمت عيناها من وراء عويناتها وقالت :

- « من ناحية أنها كارثة .. ثق بهذا .. لكنهم لم

يطالبوا برأسك بعد .. »

ودخلت على مسيو (بارتليه) الذي كان واقفا

جوار مكتبه .. وهو يجفف قطرات عرق على عنقه

المكتنز .. فقلت على الفور :

- « بروفيسور (بارتليه) .. إن د. (حشمت خان)

يبالغ .. أحتاج إلى بعض الوقت قبل أن أعرف كل

أسباب العمى فى (إفريقيا) .. »

نظر لى فى عدم فهم .. ثم غمغم :

- « د. (عبد العظيم) .. حقا لا أعرف عم

تتكلم .. »

- « أن تلومنى على حالة عمى الأنهار التى ... ؟ »

- « ليست لدى أدنى فكرة عن الموضوع .. لكنك

تغريبنى بأن أجرى تحقيقا فى هذا الأمر فيما بعد ..

إننى أحب أخطاء الآخرين كما تعلم .. والآن أرجوك

أن تجلس .. »

اتجهت إلى مقعد جلدى مريح وجلست ..

وحين رفعت عيني رأيت (آلان بارساد) يتأملنى

باهتمام ..

وكان انطباعى الأول عن الرجل غير مريح .. فهو

ثابت الجنان بطريقة غير معتادة .. وله لحيه شقراء

نصف مخلوقة كأنما أهمل حلقها أسبوعا لا أكثر ..

بالإضافة إلى عينييه الخضراوين الوقحتين ، مما جعله

أقرب إلى الذئب .. أو المذعوبين كما كانوا يظهرون

فى أفلام الأربعينات ..

قدمه لى المدير :

- « مسيو (آلان بارساد) .. فرنسى من مواطنى .. »

- « الاسم واضح .. »

وصافحت الرجل فأطلق سحابة من الدخان فى

وجهى .. وابتسم ابتسامة هى أقرب إلى تكشير

الأنياب .. كان فى الخمسين من عمره تقريبا ..

قال المدير :

- « لنقل إن مسيو (بارساد) من المهتمين بأشياء

معينة .. وهو راغب فى رؤية جثة المرأة التى انتزع

ذراعها اليوم .. علمت أنك أول من رآها .. »

- « هل هو من المهتمين بالجثث التى فقدت

أذرعها ؟ »

- « لنقل ذلك .. »

- « إن بعض الهوايات تبدو غريبة .. »

ونهدت متجهاً للباب :

- « إذن .. يمكنك أن تتبعنى يا مسيو (بارساد) .. »

تبعنى الرجل بعد ما تبادل مع المدير نظرة ذات

معنى ..

ونزلنا إلى المشرحة عبر الدهاليز الضيقة سيئة

الإضاءة إياها .. وسط رائحة المطهرات المعهودة ..

إن رائحة المطهرات المختلطة برائحة الدم لها انطباع

قائم فى النفس .. كأنها رائحة المرض ذاتها .. رائحة

الموت ..

أشرت إلى عامل المشرحة الكاميرونى (توالا) كى

يفتح لنا الخانة التى بها الجثة .. ورحت أرمق تعابير

وجه الأخ (آلان بارساد) وهو يرى الجسد ..

لاشئ .. لا تعابير .. إن هذا رجل رأى الموت كثيراً ..

ورأى الجراح كثيراً فلم يعد يهتم ، إن لم يكن يشعر

بالسأم ..

ولكن من هو بالضبط ؟ هل هو طبيب ؟ شرطى ؟

حائوتى ؟

قال وهو يتفحص جرح الكتف :

- « أسنان حادة انتزعت الذراع من موضعه ..

ما انطباعك ؟ »

قلت وأنا أهز كتفى فى استهتار :

- « لا أدرى .. إن التماسيح تفعل ذلك .. »

- « لكن من جلبوها نفوا ذلك .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

قرب عينيه منى بحركة تمثيلية .. وسأل :

- « ماذا قالوا بالضبط ؟ »

ضايقتى أسلوبه .. يغيظنى هؤلاء الأشخاص الذين

يمثلون فى كل لحظة من يومهم .. إنه لا يهتم لكن

(يمثل) الاهتمام .. لا يغضب لكن (يمثل) الغضب ..

وحياته كلها مسرح مستمر يستحيل أن تعرف معه من

هو ..

قلت له فى ملل :

- « قالوا كلاماً فارغاً عن روح الأدغال .. »

- « هذا هو بيت القصيد .. »

ثم بحركة تمثيلية أخرى صافحنى وهز رأسه شاكرًا :

- « شكرًا يا د. (علاء) .. يمكننا العودة إلى

بروفسور (بارتليه) الآن .. »

وعدت معه عبر الدهاليز إياها ، وقد قررت أن
أصفع كبرياءه صفقة لا بأس بها .. بالطبع هو يتحرق
شوقاً كي أسأله عن معنى كل هذا .. لن أفعل ..
سأنتظره بأن اهتمام مخبول بجثة طار نراعها هو أمر
طبيعي جداً ها هنا ..

بل إنني حييته مودعاً ، وكدت أنصرف لولا أنه
ناداني هاتفاً :

« إن بروفيسور (بارتليه) يتوقع عودتك
لمكتبه .. »

متثاقلاً سمجاً ثقيل الظل كالخرتيت ، تبعته إلى
مكتب المدير .. وكان هذا يثرثر في الهاتف فأشار لنا
كي نجلس .. ثم واصل المكالمة .. وفي النهاية وضع
السماعة .. وقال لـ (بارساد) :

« لقد كنت أتحدث معهم .. هناك ثلاث حالات
أخرى .. »

هزّ (بارساد) رأسه علامة الفهم .. وكأنه يقول :
« ألم أقل لك ؟ »

ثم إن المدير نظر لى وقال فى تودة :

« أراك لم تسأل أية أسئلة يا د. (عبد العظيم) .. »

« لست فضولياً بطبعي .. لا أحب المجازفة بسماع
كلمة (هذا ليس من شأنك) ردّاً على سؤالي عما
هنالك .. »

« هذا سلوك محمود .. يمكنك أن تنصرف ..
لكن أرجو أن تبلغنى بكل حالة شبيهة بحالة اليوم ،
ولا تبلغ إدارة (الكمبيوتر) عنها قبل أن تأخذ
رأىي .. »

وانصرفت .. ولم أنسى أن أنظر نظرة سمجة إلى
(بارساد) .. معلناً أن روحينا ليستا على انسجام من
أى نوع ، وأنا لن نغدو صديقين أبداً .. وفي غرفتي
تمددت على الفراش .. وبدأت النيران تأكلنى ..

ما سر هذا الذى حدث منذ دقائق ؟

المشكلة هى أنني فضولى .. فضولى أكثر من اللازم !

★ ★ ★

طفلة من قرية (موجابا) .. تخطو فى خفة نحو
عامها الثامن .. هى كأترابها لا تعرف من الثياب
سوى العرى ، ولا تعرف عن اللعب سوى اصطناع
عرانس من الطين ، ولا تعرف من الطعام سوى
الموز المشوى و (الكاسافا) ..

تهرع مع صديقاتها فى راعة النهار إلى الدغل

القريب .. ويلعبن كما تلعب البنات من كل جنس في هذه السن : يقلدن أمهاتهن .. يصنعن جراراً صغيرة من الطين .. ويحملنها - حين تجف - إلى الجدول .. ويتظاهرن بأنهن يخبزن عجينة الموز ..

ودنت هي أكثر من اللازم من المنطقة التي يكره الكبار أن يدخلوها .. لماذا؟ لو كانت أكبر سنًا لعرفت أن هذا هو (التابو) بعينه .. منطقة محرمة يوشك تحريمها أن يكون دينيًا .. ولو كانت أكثر حذرًا لابتعدت .. ولو كانت أدنى لعرفت ما ينتظر في الظلام هناك ..

نعم .. ظلام .. إن الأشجار الكثيفة السامقة تتشابك غصونها فوق الرءوس ، فتجعل نور الشمس كياتاً غير مرغوب فيه ..

كان هناك شعبان صغير ينسل مبتعداً وراء شجرة .. شجرة (أوركيد) لو كان الاسم مما يعلق في ذهن طفلة صغيرة ..

وثمة شيء آخر ينسل وراء ظهرها .. لكنه لا يبتعد ..

بل هو يدنو منها .. يدنو باستمرار .. ولم تجد وقتاً كافياً للصراخ ..

★ ★ ★

٢ - جراحة عاجلة ..

إته لن يخبر أهلها

هكذا قرّر (ماكوبكا) وهو جاثٍ على ركبتيه يتأمل العشب الملوث بالدماء الطازجة .. وتحسس البندقية في توتر فقط كي يتأكد أنها في متناول يده ..

كان (ماكوبكا) هو أقوى وأشجع رجال القبيلة .. كتلة عضلات سوداء تمشي على قدمين .. وكان يعرف قصصاً كثيرة عن أشياء معينة تحدث للحمقى الذين يتوغلون في الغابة أكثر من اللازم .. لكنه لم ير شيئاً طيلة حياته ..

وحين هرع الأب والأم الملهوفان يبحثان عن صغيرتهما ، كان (ماكوبكا) الشهم هو أول من فكرا فيه .. وعلى الفور حمل (ماكوبكا) بندقيته وارتدى قميصه المهلهل وحذاءه المطاطي الذي ابتاعه من أحد رعاة (أداماوا) منذ ثلاثة أعوام ، وسرعان ما لحق به ثلاثة رجال كي يستكشفوا الدغل الذي فقدت فيه الطفلة ..

ولم يطل بحث (ماكويكا) .. فقد وجد خيط الدم
أولاً .. ثم وجد القدم الطفولية الصغيرة .. وعرف
على الفور أنه لن يخبر أحداً بما وجدته رحمة بالأبوين ..
واصل البحث بعض الوقت ويده تتحسس البندقية ..
لكن خيط الدم لم يعد ظاهراً ، والأعشاب كانت تزداد
تشابكاً مما جعل المهمة شبه مستحيلة ..

لذا عاد من الأحرش راسماً علامات الحيرة على
وجهه .. وحين قابله الأب سأله ملهوفاً عن الصغيرة ..
فقال وهو يهز رأسه :

- « لا أثر .. الفتاة خطفتها الأرواح على الأرجح .. »

★ ★ ★

إلا أنه - في المساء - جلس جوار زعيم القرية في
كوخه .. مَدَّ يده إلى كيس قماشى ، وأخرج منه
الشيء الوحيد المتبقى من الطفلة .. وقال :

- « ما رأيك في هذا أيها الزعيم ؟ »

كانت النيران تترقرق على وجه الزعيم الصارم ،
وهو يتأمل الشيء في اهتمام .. ثم غمغم وهو يعيده
إلى الكيس :

- « أحسنت بعدم إخبارهما .. »



إنه لن يخبر أهلها ...

هكذا قرّر (ماكويكا) وهو جاث على كتيبه يتأمل العشب الملوّث بالدماء ...

ثم همس وهو يتلفت حوله :

- « لا بد أنها لبؤة عجوز وهنت قواها أو تساقطت

أسناتها .. »

وهذا شيء يحدث من آن لآخر .. فالنمر والأسد

لا يهاجمان الإنسان أبداً إلا حين يصيران عاجزين عن

صيد فرائس أقوى وأسرع .. عندها يكتشفان أن

الإنسان شهى المذاق .. بطيء الحركة .. لا يملك

القدرة على الدفاع عن النفس ..

وسرعان ما يبدأ برنامج الرعب .. ويصير الإنسان

هو الصنف الأساسى فى قوائم الطعام .. وغالباً

ما يكون ذلك الإنسان عجوزاً أو طفلاً لأن كلا منهما

لا يملك الدفاع عن نفسه ..

والمذهل فى هذه المشاهد الرهيبة هو - كما يقول

من يرونها دائماً - قلة آثار العنف فى مكان الحادث ..

لا توجد دماء ولا آثار معركة ولا شيء .. إن من

تفترسهم الأسود يختفون فحسب .. والسبب هو أن

الوحش يمزق أوردة العنق أولاً ثم يجر فريسته إلى

الأحراش ليلتهمها ، وقد صارت جثة عاجزة عن

المقاومة ..

قال (ماكوبكا) بلهجة خبير :

- « لكن الأبقار لم تمس فى حظائرها .. لو كانت

لبؤة عجوز هى المهاجم لبدأت بقتل أبقارنا .. هذا

ما يحدث دائماً .. »

- « إذن هى روح الأدغال .. »

- « لكن ذلك لم يحدث منذ عام الجفاف .. »

- « لكنه يحدث من آن لآخر .. ربما كان هذا هو

الآن .. »

- « وماذا نفعل ؟ »

- « نصمت .. قل لأهل القرية أن يحكموا الرقابة

على أبنائهم .. وألا تتوغل نساؤهم فى الدغل ،

ولا يقصدن النهر فرادى .. »

وصمت الرجلان .. كانت الأفكار تثقل ذهنيهما ..

لكنهما لن يجدا لها إجابة فى الوقت الحالى ..

★ ★ ★

بالطبع لم أعرف شيئاً من هذا وأنا أمارس عملى

فى (وحدة سافارى) ..

ومن حين لآخر أجلس مع (سباتزاتى) الجراح

الإيطالى العظيم ، الذى كنت معجباً به بشكل خاص ..

الحظ كل الحظ هو أن يختارنى كى أعاونه فى إحدى جراحاته ..

ولم تكن معاونتى له رسمية .. لأنى لم أبدأ تخصصى بعد .. لكن روحينا كانتا على نفس الموجة .. لهذا كان يرتاح لى كما أرتاح له .. والغريب هنا أنه لا يبدو كطبيب .. بل هو أصلع له بطن ضخمة وروح مرحة صاخبة ، يذكرنى على الفور بـ (البارمان) الإيطالى فى الأفلام العربية .. حتى لأتوقع فى أية لحظة أن يقول : (يا خبيبي) أو (على حساب المخل) ..

وفى ذلك اليوم كنت ذاهباً إلى قسم الجراحة لأراه .. فوجدت فوضى لا بأس بها ، وكان واقفاً فى المفصلة يعقم يديه .. فما إن رآنى حتى هتف :

- « مرحى ! (علاء) .. هلم ابدأ التعقيم سريعاً .. فإن جراحة عاجلة على وشك البدء .. لا يوجد من يعيننى فى هذه الساعة .. »

ثم انفجر يصدر سילاً من التعليمات الإيطالية للممرضة التى هى من نفس جنسيته .. وارتدى ثوب الجراحة الأزرق ، ثم دس يديه فى القفازين المطاطيين

الذين فتحتهما له ، بتلك الحركة الخطافية القانصة التى لن أتعلمها أبداً وإن كانت تبهرنى دائماً ..

فرغت من التعقيم فوضعت قناعى ، وبالطبع أخذت القفازين من الممرضة لأرتديهما بالطريقة العادية .. على مهل .. واحدة واحدة ..

صاح وهو يهرع إلى مسرح العمليات كما يسمونه : - « أسرع ! إن المريض سيموت ويتعفن قبل أن تفرغ من إدخال يدك اليمنى فى القفاز .. مام مامياً ! » زادنى هذا ارتباكاً وتوتراً .. لكنى لحقت به على الفور ..

وحول الجسد الراقد على المنضدة رأيت الممرضة الإيطالية (باولا) .. وطبيب تخدير إيرائياً يدعى (أرداش) .. حياى بعينيه من وراء القناع ثم واصل تثبيت أنبوب القصبة الهوائية فى جهاز التنفس الصناعى ..

- « كم الضغط عندك ؟ »

- « ٥٠/٧٠ .. لن ينزف كثيراً .. لكنى سأحسن الوضع قليلاً ريثما تبدأ .. »

دارت المحاوراة بالطبع بفرنسية رديئة جداً ..

فلغة التفاهم الدولية في (سافاري) هي الفرنسية ..
وكم تمنيت لو كانت العربية ..

بعين فضولية نظرت لأرى ما يدور الكلام عنه ،
فرايت قدماً مبتورة وقدماً توشك على ذلك ، وقد تم
ربطهما عند الفخذين برباطين ضاغطين لتقليل النزف ،
إذن فالجراحة هي تنظيف كل هذا مع محاولة إنقاذ
ما يمكن إنقاذه ..

- « أعطوه مصل (التيتانوس) و (الغنغرينا)
الغازية حالاً .. »

ثم تفكر قليلاً وهو يعدّ المجال لعمله .. فأضاف :
- « وجراماً من (السيفوتاكسيم) في الوريد .. »
و (التيتانوس) هو المرض المريع الذي يصيب
أصحاب الجروح الملوثة .. ومثله (غنغرينا) الغاز
التي تجعل الجروح تتعفن إلى حدّ قتل أصحابها ،
وكلاهما تسببه باكتريا متشابهة إلى حدّ كبير .. أما
(السيفوتاكسيم) فهو مضاد حيوي لا بأس بمفعوله ..
سألته وأنا أزيح بعض الأنسجة جانباً !

- « توجد كثير من الأطراف المبتورة هذه الأيام .. »
- « مبضع ! »

قالها بلهجة أمرة ، مما دلّني على أنه متوتر حقاً ..
ولا يجد وقتاً كافياً للتعليق .. لهذا أثرت الصمت ..
- « كم الضغط عندك ؟ »
- « يتحسن .. »

قالها طبيب التخدير الإيراني .. وتنهّد تنهيدة
الخلاص .. ورأيته يعلّق كيساً مليئاً بالدم بعد ما فرغ
الأول ..

قام (سباتزاني) باستنقاذ ما بقى من الساق
اليسرى .. فقد كانت الأوعية الدموية سليمة ، ولم
تكن لدينا الوسائل التي تسمح بجراحة أوعية مجهرية ..
وحين وخذ الساق بإبرته فسال منها الدم ؛ رأيت شبح
ابتسامته خلف قناعه .. وغمغم :

- « (بيني) ! »
أي (كويس) بالإيطالية .. فمعنى وجود نرف أن
الساق تحظى بإمداد وعائي جيد .. أما الساق الأخرى
فلم يكن لها وجود .. لكنه راح يكمل ما بدأتها الطبيعة ..
يستكمل البتر بشكل نظيف أنيق يحافظ على ثنيات
الجلد ويمنع العدوى ..

إن جراحات الاستئصال كثيرة .. لكن البتر بالذات

جراحة غير مبهجة على الإطلاق حتى بالنسبة لأقسى الجراحين قلباً .. وقد عشت هذا الجو الكئيب الجنائزى مراراً ، فأدركت أن حظى ليس على ما يرام اليوم .. رحت أرقب أصابعه السحرية تعقد الخيط بتلك السرعة المذهلة التي لا يمكن أن تصدقها مالم ترها .. وفى هذه اللحظة صرخ طبيب التخدير :

- « لحظة ! توقف ! »

رفع نحوه (سباتزاتى) عينين متسائلتين .. فقال هذا :

- « هل جرحتما شيئاً فى أثناء العمل ؟ »

- « طبعاً لا .. لماذا ؟ »

- « لا أدرى .. إننى .. » .. »

وبالفعل كانت الدماء تجرى زرقاء بين أناملنا .. وبعد قليل كفت عن التدفق من الأوعية الدقيقة المفتوحة .. وهى علامة يعرف بها الجراحون أن المريض ليس على ما يرام ..

أفرغ طبيب التخدير محقتين فى القناة الوريدية .. ثم عاد يصغى بالسماعة .. يقيس الضغط .. ولمحت قطرات العرق على جبينه ..

هتف الجراح الإيطالى فى نفاذ صبر :

- « ماذا يحدث عندك ؟ »

- « إننى أفقده .. ولا أدرى السبب .. »

- « هل هى صدمة حساسية ؟ إن مصل

(التيتانوس) .. »

- « كلا .. لقد تأكدنا من ... رباه ! إن قلبه

يتوقف .. »

وراح يمارس طقوس الإنعاش المعهودة .. لكن

لا جدوى ..

وحين أنزل (سباتزاتى) قناعه عن وجهه ، ونزع

قفازيه ورماهما فى ركن الغرفة ، وحين راح يسبب

بالإيطالية ..

عندها فقط أدركت أننى أرى الموت معنا فى

الحجرة ..

كان واقفاً عند رأس المريض ...

★ ★ ★

غادرنا غرفة العمليات منهكين ..

وتساءلت بصوت مبحوح عن سبب وفاة المريض ..

فقال الجراح :

- « صدمة عامة .. هل تجد سبباً أفضل ؟ »

- « أعرف .. لكن ما سببها !؟ »

- « لا أدري .. لقد كانت الأمور تتحسن .. ثم ... »

وهنا استدرك فقال :

- « إنه السم .. الوحش الذي مزق قدميه كان

يحمل السم في أنيابه ومخالبه .. »

- « لا توجد تماسيح ولا أسود سامة .. والأفاعى

لا تمزق فرائسها .. »

نظر لى .. وابتسم .. وقال :

- « من تحدث عن تماسيح وأسود ؟ »

وأشعل لفافة تبغ .. القداحة لا تشتعل .. رماها

جانباً ، وأمر أحدهم أن يحضر له علبة ثقاب .. ثم

أردف :

- « يا بنى .. أنت عديم الخبرة حقاً .. »

ورفعت عيني نحوه متسائلاً

★ ★ ★

٤ - لا توجد بحال سامة هاهنا ..

- « بروفيسور (بارتليه) .. أعرف أنني أيقظتك

من نومك .. وإبنى لذلك آسف .. لكنك طلبت منى ألا

أتأخر فى إبلاغك أية تفاصيل عن حالات تشبه حالة

أمس .. »

« الحق أن الأمر مريب يا سيدى .. قلت إن هناك

ثلاث حالات .. ثم تلك المرأة .. واليوم ذلك الرجل ..

إن هذا أكثر من اللازم إذا أردت رأى .. »

« كلهم يموتون يا سيدى .. يموتون بلا تفسير

لموتهم .. إن الصدمة العصبية والنزفية لتفسير جيد

لكنه لا ينطبق على كل هذه الحالات بالتأكيد .. خاصة

أننا لم نأل جهداً فى إنقاذهم .. »

« الأهالى ؟ لا يقولون شيئاً .. يتحدثون عن روح

الأدغال هذه أو يتطيرون ويأبون الكلام .. »

« يخيل إلى يا سيدى أنهم يعرفون أكثر مما

يظهرون .. »

« البروفسور (سباتزاني) يؤمن بوجود وحش
يجمع بين السمية والافتراس في الدغل .. ويقول إن
الجمع بين هذين لا يوجد إلا في أنواع معينة من
السحالي المفترسة .. »

« إنه يعتقد أن خللاً بينياً ما أدى لتوحش هذه
الكائنات التي لم نعرف أنها موجودة في (الكامبيرون)
من قبل .. وتوحشها جعلها تظهر .. وتظهر أعمالها
واضحة للعيان .. »

« يبدو لي هذا عسيراً .. لكن بروفسور (سباتزاني)
يعرف ما يتحدث عنه بالتأكيد .. وعلى كل حال لقد
طلبنا من المعمل أن يحلّل سوائل الجثث بحثاً عن
شيء ما .. »

« حسن يا سيدي .. سأوافيك بتقرير مفصل عن
رأى المعمل في كل هذا .. لكنى أقترح إبلاغ السلطات
في (أنجاوانديري) عليها ترسل لنا حملة صيادين .. »
« إن بعض الرجال المسلحين بالبنادق الآلية
وبعض الكلاب المدربة يمكنهم إنهاء هذا الكابوس
بالتأكيد .. »

« شكراً سيدي .. أعرف هذا .. لكنى أرجو التحرك

سريعاً لأن الغد قد يحمل لنا جثة جديدة مبتورة
الأطراف .. »

« .. وأنا كذلك .. عمت مساء يا سيدي »

ووضعت سماعة الهاتف ، ثم استرخيت في فراشي
أرملق السقف في توتر .. ولم أدر متى نمت لكنه كان
نوماً مريحاً ..

أنا لا أتذكر أحلامي أبداً .. ولولا تأكيد علماء
وظائف الأعضاء لقلت إنني لا أحلم .. لكنى في هذه
الليلة صحت مراراً شاعراً بأن وحشاً أسود هائل
الحجم (يشبه الثور العملاق) يمسك بيدي بين أنيابه
ويحاول انتزاعها ، وكالعادة لم أكن قادراً على
الصراخ ..

و

★ ★ ★

في الصباح - قبل بدء جولة العنابر - مررت على
البروفسور (آرثر شيلبي) - بكسر الشين - في مكتبه ..
ولمن لم يقرءوا الكتيب الأول ؛ أكرر أن (شيلبي)
أستاذ طب مناطق حارة ، أمريكي .. خبيث كالشيطان ،
لكنه مفيد دائماً بما لديه من علم .. وهذه هي قاعدة



تعاملى فى (سافارى) : هناك أفاع عليك أن تتعامل معها لتظفر منها بالسم - وسم الأفاعى له منافع طبية عديدة - وكان (شيلبى) أفعى لا بد من الحذر فى حليها ..

- « صباح الخير سيدى .. »

- « صباح »

كان يدخن سيجارًا غليظًا ذكرنى بإصبع مشتعل من (الكفتة) .. وكان شعره الأشيب يغطى إحدى عينيه .. وقد تدلت عويناته على قصبة أنفه وهو يطالع العدد الأخير من (الجريدة الأمريكية لطب المناطق الحارة) ، حيث نشر ورقته البحثية الأخيرة ..

- « هل توجد سحال سامة فى (الكامبيرون) ؟ »

- « حتمًا لا .. »

ثم فتح إصبعين ليعده عليهما :

- « يوجد نوعان لا أكثر من السحالى السامة فى العالم ، وينتميان إلى جنس (الهيلو درما) .. وحش (جيل) الموجود فى جنوب غرب الولايات المتحدة ، والسحلية المكسيكية .. وأطولهما لا يتجاوز طولها ثمانين سنتيمترًا .. وتكون شرسة جدًا فى عضها ..

كان يدخن سيجارًا غليظًا ذكرنى بإصبع مشتعل من (الكفتة) .. وكان شعره الأشيب يغطى إحدى عينيه ..

بل إنه من المستحيل انتزاعها من اللحم لقوة
فكيها (*) .. »

اقشعر جلدي لتصور سحلية تنشب أنيابها في
لحمي .. ويحاول الناس شذها فلا يقدرّون ..
سألته :

- « وكيف ينزعونها إذن ؟ »

لوح بالطرف المشتعل للسيجار وقال :

- « لا حلّ سوى النار .. يلسعون أسفل ذقنها

بسيجار مشتعل ، ومن ثم ترخي قبضتها .. »

- « وماذا يحدث لمن تعضه ؟ »

بدا كأنه يتذكر هنيهة .. ثم قال :

- « لا وفيات .. مجرد ألم شديد .. تضخم في العقد

اللمفاوية .. ضعف .. عرق .. انخفاض ضغط ..

قيء .. لكن لا أكثر من هذا .. »

- « والعلاج ؟ »

- « لا علاج .. ولا ترياق لهذا السم .. وهو

- بالمناسبة - غني جداً بمادة (سيروتونين) »

ثم ابتسم في فضول .. وسألني :

(*) حقيقة ..

- « هل تشك في حالة تسمم حيواني ؟ إنه تفكير

مبالغ فيه حين تبحث عن السحالي .. »

لم أرد أن أخبره بما هو أكثر .. ففي كل مرة يجد
في كلماتي البرينة ما يصلح لأن يؤذيني أو يعايرني
به .. لذا قلت في اقتضاب :

- « لا هذا ولا ذاك .. مجرد فضول علمي »

وفارقه قبل أن يسألني أكثر ..

الحق أن الرجل لدائرة معارف تمشي على قدمين ..

★ ★ ★

حسن .. يمكن استبعاد السحالي إذن ..

فلا توجد سحالي سامة في (الكامبيرون) .. ثم

- إن وجدت - فهي غير قادرة على انتزاع نراع امرأة

أو ساقى رجل ، حتى لو كان طولها متراً ..

يبدو أنني في طريقى للاعتقاد بروح الأدغال أنا

الآخر ..

★ ★ ★

وفي طريقى إلى المعمل قابلت (برنادت) ،

فحييتني بـ (التشنكية) الشهيرة ، ولوحت بذراعها ..

وسألتنى :

- « إلى أين العزم ؟ تبدو كمن أكل فأراً ! »

- « أريد نتيجة تحليل ما .. إنه الفضول العلمي

كما تعرفين .. »

ودخلت معي إلى المعمل حيث وقفت مستندة إلى

الحائط ، ويداها في جيب معطفها وقد ثنت إحدى

الركبتين .. وقفتهما المميزة التي تذكرني - كما قلت

لها - بوقفة محاربي (البوشمان) البدائيين ..

وجاء د. (أوكازو) طبيب المعمل الياباني ، فحياتي

ثم بدأ يقرأ التقرير الذي أعده والذي لم يطبعه بعد :

- « الدم يحوى سمًا بروتينيًا به عناصر مألوفة

مثل (الهيموراجين) وال- (إيكين) .. أي أنه سم

نزفي شبيه بسم الأفاعي .. بل إنه أقرب إلى سم

الأفاعي الهندية بالذات .. »

سألتني (برنات) دون أن تبدل وقفتهما :

- « هل تبحث عن أفعى هندية في (الكاميرون) ؟! »

- « هذا من حقي على ما أظن .. »

قالت في جدية :

- « أعتقد أنني أعرف ما تتحدث عنه ! »

- « أحمًا ؟ »

- « في عيادة الأطفال صرنا نرى حالات تسمم

أكثر من اللازم .. توجد عضة بشعة في جسد الطفل ..

والأهالي .. »

- « يرفضون الكلام أو يقولون شيئًا عن (روح

الأدغال) .. »

- « بالضبط .. إننا نتحدث عن الشيء ذاته .. »

- « والأطفال ؟ هل يمكن استجوابهم ؟ »

- « للأسف لم يعش طفل واحد من الثلاثة الذين

رأيتهم .. وعندها يأخذ أهله الجثة ويرحلون .. »

- « يا للهول ! »

- « لا بد من تفسير .. »

وكنت أعرف أن التفسير هناك عند البروفسور

(بارتليه) ..

★ ★ ★

في الآن ذاته كان (ماكوبكا) قد أزمع أمرًا ..

دخل كوخه الطيني وفتش عن الصندوق الذي

يحوى الذخائر ، حشا بندقيته بالرصاص ، ووسن

الخنجر في سرواله ..

إنه لن يترك ذلك الخطر يحوم حول القرية ..

٥ - آآن بارساد ..

توغل مسافة نصف ميل فى الدغل ، ولو لم يكن الوقت نهاراً ويكن هو خبيراً فى الأدغال لأصابه الذعر ، ولضل طريقه إلى يوم الدين ..
كان الصمت شاملاً .. وثمة أسرة من الغورييلات تجلس فى ظل الأشجار تمارس حياتها الاجتماعية المألوفة .. فقط رآته إحداها وهو يزحف فأطلقت خوارة قصيرة وعادت تلتهم العشب ..
إن الغورييلات حيوانات خجولة بطبعها تمقت أن يراها أحد ..

وفى الظلال توجد ثمار غريبة تتدلى من غصون الأشجار .. لكنها ليست ثماراً بالضبط .. إنها وطاويط .. وطاويط تغفو بعد سهر الليل المضى ..
واصل مسيرته وهو يمزق الغصون المتشابكة بخنجره ..

والآن يمكن القول إن أحداً من مواطنيه لم يتوغل

المشكلة مع الآخرين كانت أنهم أبطأ مما يجب ..
أو أغبى مما يجب .. أو أضعف مما يجب ..
أما هو - (ماكوبكا) ذو الذراع الشهم - الذى انتزع لسان (ابن آوى) من حلقه حين هاجمه ؛ فيعرف ما ينبغى عمله ..
اليوم لن تكون هناك أغلاط



في الغاية إلى هذا الحد .. ولو كان مثقفا لقال إنها
(أرض اللا بشر) ..

الشيء الذي جعله يعرف أن اتجاهه صحيح هو
الأشلاء .. نعم أشلاء حيوانات متناثرة من حين لآخر ..
ساق وعل .. فنران منهوشة .. وكلها تحمل ذلك
الطابع المميز الذي لا يوصف ، والذي رآه في قدم
الطفلة ..

ثم سمع زئيراً من وراء ظهره ..
زئيراً جعل الدم يجمد في عروقه .. وقلبه يثب ..
لقد كان مخطئاً ..

إن أسداً مجنوناً هو من فعل هذا كله ..

★ ★ ★

دخلت مكتب المدير في حماس ، وقد أزمعت أن
أفعل أشياء على غرار الصراخ وضرب المكتب
بقبضتي إلى آخر هذه الأشياء ، مع رفع يدي بطريقة
مسرحية لأهتف :

- « ولكن هناك تفسيراً بحق السماء لكل هذا .. »
لكن ما إن سمحت لي السكرتيرة بالدخول ؛ حتى
فوجئت بالمدير جالساً في مكتبه وأمامه ذئب آدمي بدا
مألوفاً لي ..

آه ! إنه ذلك الفرنسي السمج .. ماذا كان اسمه ؟
قال المدير مبتسماً :

- « ادخل يا (علاء) واجلس .. أعتقد أنك
ومسيو (بارساد) متعارفان .. »
هزرت رأسي أن نعم وجلست :

- « إن (بارساد) هذا قد صار متوافراً أكثر من
اللازم .. لن أدهش لو وجدته في قبري يوم أموت
وأدفن .. ولكن من هو بالضبط ؟ »
قال المدير :

- « لم تبلغني بعد بنتيجة تقرير المعمل عن جثة
أمس .. »

- « سمع بروتينى .. يقولون إنه يشبه سم الأفاعي
الهندية .. »

- « جميل .. جميل .. »

أشعل (بارساد) لفافة تبغ ، وأدركت أن المدير
يحترمه حقاً .. فهو لا يطيق المدخنين ويحرجهم
بأسوأ الطرق الممكنة ..

قال (بارساد) وهو ينفث سحابة خائقة في وجهي :
- « وما رأيك ؟ »

قلت وأنا أسعل :

- « يوجد شيء ما لعين في الدغل .. يحتاج الأمر

إلى من يدخل ويقتله .. »

- « هذا هو بيت القصيد .. »

قالها للمرة الثانية منذ التقينا فأدرت أنها من

لوازمه اللغوية ..

وراح المدير يفسر لي الأمر بتؤدة :

- « لقد جاء مسيو (بارساد) مسافة طويلة إلى

هنا ، ومعه توصية من وزير الصحة الفرنسي ، ومن

إدارة الأمن هنا ، ومن وزارة البيئة في (ياوندي) ..

والغرض هو البحث عما يُدعى بـ (روح الأدغال) ..

- « هل هو عالم أحياء ؟ »

- « بل هو صياد .. صياد محترف .. وهو شهير

في (فرنسا) إلى حد ما بالنسبة للمهتمين بالصيد ،

وكتبه ذات مرجعية أساسية فيما يتعلق بإفريقيا .. إن

الرجل - والحق يقال - يعرف إفريقيا .. »

ابتسم (بارساد) في سماجة وقال :

- « لنقل إنني (رافاييل متي) الجديد .. هل

تعرفه ؟ »

بالطبع كنت أعرف (رافاييل متي) الفرنسي حامى

الحيوانات البرية .. والذي أطلق عليه المواطنون اسم

(كونغو ماسا) .. والذي قتلته قبائل الـ (ماساي)

حين تطفل عليها في أثناء عيد ديني لها (*) ..

لذا قلت :

- « إن (رافاييل متي) كان يحمى الحيوانات من

الانقراض .. لكن من الواضح أنك تساعدها عليه ! »

قال (بارساد) في ثبات :

- « لم يعد الصيادون كما كانوا في إفريقيا ..

صورة الحملة المكونة من الزنوج يتقدمهم صياد

أبيض يحمل بندقيته .. إن عملنا اليوم هو خلق نوع

من التوازن البيئي .. نحافظ على الحيوانات المهددة

بالانقراض ، ونتخلص من الأنواع الخطرة التي تهدد

الأهالي .. »

قلت له وأنا مصمم على مضايقته :

- « لا بد كذلك أنك كنت تعمل مع البريجادير

(ونجيت) في الستينات .. لا بد أنك كنت في العشرين

من عمرك وقتها .. »

(*) حقيقة ..

ابتسم وهز رأسه قائلاً .. وهو ينفث مزيداً من
الدخان في وجهي :

- « أنت واسع العلم حقاً .. إن هذا هو بيت

القصيد .. »

وكان معنى كلامي أنه واحد من المرتزقة الذين
تعج بهم إفريقيا .. والذين يتم استئجارهم من وكالات
التأجير في شارع (سلون) في (لندن) .. وكان
أشهرهم فريق البريجادير (وينجت) .. وفريق
الكولونيل (سترلنج) .. وقتها كان سعر المرتزق
الواحد خمسة آلاف جنيه استرليني (*) ..

إن المرتزقة والصيادين وتجار السلاح يتشابهون
في إفريقيا ..

قال المدير محاولاً إنهاء هذه المحادثة السامة :

- « إن مسيو (بارساد) جاء بحثاً عن (روح
الأدغال) هذه .. وقد جمع عشرات الصور والبقايا
والآثار .. ولديه كل ما يدعو إلى الاعتقاد بوجود
الخطر قرب قرية تدعى (موجابا) .. إنها قريبة
جداً منا .. وهذا يفسر تزايد حالات بتر الأطراف ..

(*) حقيقة .. وكقاعدة : كل ما نذكره في (سفاري) حقيقي

ما لم نقل غير ذلك في الهامش .

دعك من الحالات التي لم نرها قط والتي هلكت في
الدغل .. »

قطبت جبيني محاولاً التذكر :

- « (موجابا) ؟ لم أسمع هذا الاسم قط .. »

★ ★ ★

(موجابا) ؟ كيف لا يعرفها أحد ؟

إنها بلد (ماكوبكا) - ذى الذراع الشهم - الذى
يقف الآن فى الدغل وحده ، يقبض على بندقيته بتوتر
ويستدير ..

إن صوت الزئير القادم من الخلف لا يمكن ألا يكون
إلا لأسد عجوز .. وكان يعرف - وهو يستدير - أن
الوثبة ستكون أسرع منه .. وأنه لن يجد مجالاً يرفع
فيه فوهة بندقيته بينما الوحش يجثم فوقه ..

لكنه لم ير شيئاً من هذا ..

كان هناك أسد عجوز حقاً .. لكنه راقد على
الأرض يحاول الزحف .. وقائمته الخلفيتان مجرورتان
خلفه .. كانتا مليئتين بالجراح كأنما نهشتها
الشياطين ..

كان الوحش المسكين يزحف وخلفه خيط من الدماء ،

وهو يزار زئيراً أليماً .. لكنه - كذلك - خطر .. الأسد
الجريح قوة كاسحة لا يستطيع وقفها إلا الموت ..
دنا منه (ماكوبكا) .. وتأمله - من مسافة
مأمونة - في شفقة .. ثم فعل الشيء الوحيد الذي
يمكن عمله سواء كنت ملاكاً أم شيطاناً ..
رفع فوهة البندقية وسددها بين عيني الوحش ..
وأغمض عينيهِ وضغط الزناد .. و .. بوم !
تردد صوت الطلقة في الأدغال ، فحلقت الطيور
فارة وتصايحت القرود .. وفاحت رائحة البارود ..

★ ★ ★

- « رائحة كريهة حقاً ! »
قلتها وأنا أتشمع الخرقة التي ناولها لي (بارساد) ..
ثم أضفت :

- « لكنها رائحة غير مألوفة .. »
قال وهو يعيد الخرقة إلى الكيس البلاستيكي :
- « هذا هو أول أثر وجدته .. كان لعاب ذلك الكائن
يلوثها بعد ما فرغ من تمزيق البانس الذي كان يرتدي
هذا القميص .. »

ثم أخرج من مظرورف أمامه عدداً من الصور



رفع فوهة البندقية وسددها بين عيني الوحش ..

الفوتوغرافية ، وقدمها لى فرحت أقلبها بين يدي ..
كانت تحوى ألغن مجموعة من صور الأشلاء ،
التي لا يفخر بحيازتها أى كتاب للطب الشرعى فى
العالم .. أما آخر صورتين فكانتا تظهران شيئاً ما ..
وهذا هو أدق وصف له ..

- « هذا هو ما رأيت يتحرك فى الدغل فجر أحد
الأيام ، قرب نهر يدعى (كرا - آل) .. وقد ظفرت
بصورتين .. »

- « كنت أحسبك تتسلى بتصوير إصبع قدمك .. »
ابتسم ولفافة التبغ فى فمه .. وقال وهو يشير إلى
الصور :

- « لا .. تأمل جيداً ! هذا رأس .. وهذا جذع ..
وهاتان يدان .. ثم فرّ الشىء منى قبل أن أجد
الفرصة كى .. »

- « إن ما تتحدث عنه يبدو لى ك .. كسحلية تمشى
على قدمين .. الديناصورات فقط تفعل هذا .. »

- « ليس إلى هذا الحد .. هناك ستة آلاف نوع من
السحالى فى العالم ، منها اثنا عشر نوعاً يمشى على
قدميه الخلفيتين .. قد تكون صورة سحلية فعلاً .. »

- « وهل هى التى فعلت هذا ؟ »

- « لا أدرى .. نسيت أن أقول إن طول هذا الـ ..
هذا الشىء كان فى ارتفاع قامة الإنسان .. »

- « جنس جديد هنا ؟ هذا هراء .. لقد تم مسح
(الكاميرون) بعناية منذ دهر .. ربما وجدوا خنفساة
أو ذبابة لم يروها من قبل .. لكن وحشاً بهذا
الحجم .. »
قال المدير :

- « لا تنس أنهم يبحثون عن (الساسكواش) فى
(أمريكا الشمالية) ، وعن الـ (مى - جى) فى
(التبت) ، وعن وحش (لوخ نس) فى (إسكتلندا) ،
منذ أعوام طوال .. وما زال العلم عاجزاً عن إثبات أو
نفى وجودها .. »

واتسعت عينا (بارساد) المتوحشتان .. وقال :

- « لهذا أنا هنا .. إن الوطنيين - منذ عقد كامل -
يتحدثون عن ظهور (روح الأدغال) من جديد .. لم
يبقى سوى أن يثبت ذلك أحد .. وأنا سأفعل .. »

نظرت للمدير الذى كان يرمى (بارساد) فى
انبهار ..

كان يقْدَس هذا المخلوق ويجلّه حقًا .. فلم يبق إلا
أن يشعل البخور ويقدم له القرابين ..
وأدركت أن الأمر يتجاوز الإعجاب الإداري .. بل
هو يخفى إعجابًا طفوليًا قديمًا بالصيادين .. كما ينبهر
الأطفال بالضباط .. ثم إن المدير رحو وديع ، لذا
ينبهر بالرجال المتوحشين الإيجابيين مثل (بارساد) ..
وأنا صغير السن لكنى تعلمت ألا أنبهر بهواة التمثيل
مثل هذا الفرنسي .. فربما هو ليس شجاعًا كما
يحاول أن يبدو ..

وتذكرت حادثًا طريفًا وقع لى حين كنت طبيب
أرياف .. كنت قد دخلت إلى الصيدلية بحثًا عن
شيء ما ، ومعى عامل خشن من عمال الوحدة
الصحية كانوا يدعونه (السبع) .. وكان فظًا ضخماً
كالباب .. أفعم الشعر جسده ووجهه فلم يترك سوى
بياض عينييه وأسنانه .. وله شاربان يصلحان لوقوف
النعام لا الصقور ..

وفتحت علبة مغلقة فإذا بفأر شرس المنظر عملاق
يثب منها فى وجهينا .. تماكنت أنا الطبيب الوديع
نفسى ورحت أطارده .. بينما (السبع) - لشدة دهشتى -

قد أطلق صرخات مولولة كامرأة هلك رضيعها ..
ووثب إلى النافذة وهو يصرخ :

- « فار ! يا خراالبي ! »

وكان على أن أتولى وحدى مهمة قتل الفأر
بالمكنسة !

وابتسمت وأنا أتخيل (آلان بارساد) يولول
ويتعلق بشجرة .. بينما سحلية صغيرة وديعة تقف
على الأرض ترمقه فى دهشة ساخرة !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

٦ - الحملة ..

إن الخطر الذي ينتظر في الدغل لا يهاب الأسود ..
هذه هي الحقيقة التي أدركها الصياد الأسود
(ماكوبكا) وهو يواصل زحفه في الأحرش .. حقيقة
جعلته يتوتر .. خاصة وأن منظر الأسد العاجز لا يبرح
خياله ..

لكنه تقدم .. ربما مدفوعًا بالكبرياء أكثر منه
بالتعقل

كان يتقدم الآن على حافة النهر الذي يقوده إلى
أطراف الدغل .. ويدعى نهر (كرا - آل) .. وهو
نهر ضيق كئيب لا يزيد اتساعه على خمسة أمتار في
أكثر أجزائه .. وكانت الأشجار الكثيفة تظله ، بينما
جدوع أشجار خشنة على الجانبين .. ويجب أن تكون
ملمًا بإفريقيا كي تعرف أنها تماسيح غافية .. يجب
أن تكون ملمًا بإفريقيا كي تعرف أنها لا تهاجم إلا
ليلاً ..

إن التماسيح تستطيع انتزاع ساق إنسان أو أسد ..
لكنه كان يعرف أن أكثر الحوادث جرت نهارًا .. ثم إن
الأسود ليست حمقاء .. إن الغريزة تعلمها دومًا متى
وأين ترد النهر لتطفئ ظمأها دون أن تؤذيها
التماسيح ..

واصل المشى على ضفة النهر وهو يتلفت حوله
في حذر ..

وهنا أدرك أنه يدنو من شيء غريب حقًا ..

★ ★ ★

قال المدير وهو يفك حزامه قليلاً لسيرح (كرشه)
من تحت المعطف :

- « لقد جمع مسيو (بارساد) الأدلة الكافية ..
وجاء هنا طالبًا من الحكومة الكاميرونية أن تعينه في
تنظيم حملة .. إن بضع وحدات من الجيش تكفى
لتمشيط الغابة جيدًا .. لكن (ياوندى) تبدو مترددة ..
فعندهم من المشكلات المادية ما يكفيهم ، ولا يحتملون
هذا الترف العلمى .. من ثم قرر مسيو (بارساد) أن
يقوم بالحملة على نفقته الخاصة ، مع بعض تبرعات
من أصدقائه الباريسيين .. والمشكلة الأساسية هنا

هي حاجته إلى أفراد للحملة .. وقد جاءني يطلب رأسي فاقترحت بضعة أسماء كان من بينها اسمك بالطبع ! »

صحت كالمسوع :

- « اسمي؟ وما دخلي أنا بهذا السخف؟ بل ما دخل (سافاري) بهذا؟ ليس قتل الوحوش مهمتنا على ما أظن، ما لم تكن متمسكين بالمعنى الأصلي لكلمة (سافاري) .. »

- « حقاً أنت مطلق الحرية .. لكن دعني أؤكد لك أن قبورك سيكون جم الفائدة بالنسبة لـ (سافاري) من الناحية العلمية .. ومن الناحية العملية .. أليس واجبنا الوقاية من الأمراض قبل حدوثها؟ من واجبنا كذلك حماية الأهالي من الوحوش قبل أن تنتزع أطرافهم .. »

- « هذا - واسمح لي - لي لعنق المنطق .. »

- « إن الحملة تحتاج إلى فرد ذي خبرة طبية .. فلو تم كل شيء كما نتوقع فلسوف تسيل دماء كثيرة .. »

- « هذا يزيدني حماساً في رفضي .. »

ونهدت لأغادر المكتب بعد ما هزرت رأسي بتحية مهذبة ..

هنا سمعت (بارساد) يقول للمدير :

- « إذن نستعين بالاسم الثاني في القائمة .. ذلك الإسرائيلي .. قلت لي ما اسمه؟! »

- « (إبراهيم ليفي) ! »

- « أرجو أن تطلبه ! »

آه ! الثعلب ! لقد عرف كيف يثير اهتمامي ويوقظ روعي القتالية الغافية في أعماقي ..

صحيح أنه من المغري أن يذهب (ليفي) للدغل حيث يفتك به (روح الأدغال) ويمزق نراعيه وساقيه ؛ لكني لا أتحمّل لحظة واحدة أن يتحقق احتمال واه جداً : أن يعود حياً يرزق ومظفراً ..

لهذا استدرت نحوهما ، وعدت لأجلس في المقعد الجلدي ..

- « إبني مستعد للانضمام إلى هذه الحملة .. »

- « مرحي ! »

وكانت هذه هي البداية

★ ★ ★

بينما (ماكوبكا) - ذو الذراع الشهم - يدنو أكثر فأكثر من الكوخ العملاق .. كلا هو ليس كوخا .. لقد ذهب مرة إلى (أنجاوانديري) فرأى مبنى ضخماً كهذا ..

يوجد حاجز من السلك الشائك حوله ، أما السماء فقد حجبته شبكة سميكة هائلة الحجم والامتداد تشابكت عليها الغصون وأوراق الشجر بشكل لا يمكن تخيله ..

كان المبنى يمتد لمساحة مائتى خطوة .. لكن اجتياز السلك بدا مستحيلاً .. وكان هناك مستنقع يفصل السلك الشائك عن الجدران ، بينما ماسورة صرف هائلة الحجم تتلوى كتعبان حتى تصل إلى النهر ، وقد راحت تصب مادة خضراء لزجة ..

لم يستطع فهم ما يراه .. وما كان سواه ليستطيع .. لكن فؤاده - الذى رأى أعتى الوحوش - راح ينبض فى صدره هلغاً ..

لا بد من العودة حالاً .. لا بد ..

إن ما يراه غامض .. والغموض يورث الذعر .. استدار وراح يركض دون أن ينظر للوراء ..

جرى مسافة معقولة .. لكن حتى أبرع الصيادين يتعثرون أحياناً ..

وقد تعثر هو فى جذع شجرة على الأرض تعفن أكثره ..

نهض وألم مُمضٌ يمزق كاحله ..

عاد إلى الرقاد وراح يتفحص ما هناك ..

لم يكن خبيراً فى علم الكسور .. لكنه أدرك أن كاحله قد التوى أو تمزقت أربطته ..

وأدرك أنه لن يستطيع المشى ما لم .. ما لم يجد ما يصلح كعكاز ..

صحيح أن اجتياز الغابة على عكاز أمر عسير .. لكن البقاء حيث هو آخر ما يتمناه ..

بحث حتى وجد فرع شجرة طويلاً متماسكاً .. مزق قطعة من قميصه واصطنع بوساطتها مع قطعة خشب صغيرة ما يصلح كوسادة للإبط ..

ثم إنه تحامل على نفسه حتى استطاع الوقوف على هذا العكاز البدائى .. أواه ! إن الألم يمزق كاحله لكنه قادر على المشى على كل حال ..

يا لـ (ماكوبكا) البطل !

حتى الموت والأرواح نفسها لا تقدر على إيدائه ..
واصل التقدم في الدغل عائداً إلى القرية ..
لكن شيئاً ما أثار انتباهه في حائط الأشجار الذي
يمتد إلى جواره .. ثمّة ظلّ يتحرك ..
شيء أقرب إلى إنسان يمشى على قدميه .. لكن
رأسه

رأسه

وفي هذه اللحظة تهشم العكاز البدائي ..

★ ★ ★

كنت أمشى مع (بارساد) في أروقة الجناح الإداري
من (سافاري) ، وهو يحدثني عما يتوقعه منى من
ترتيبات ..

كان بحاجة إلى معدات طبية .. إلى حقن
(أدريالين) .. إلى ضمادات وبعض من مصل
(التيتانوس) - أو (الكزاز) كما يترجم للعربية -
ومصل الكلب .. وبعض المصل المضاد لسّم الأفاعى ..
كان بحاجة إلى مطهرات وبعض (الفورمالين) لحفظ
ما نجده من بقايا ..

كان بحاجة - كالعادة - إلى (بودرجا) الممرض



وقد تعثر هو في جذع شجرة على الأرض تعقن أكثره ..
نهض وألم مَمِضٌ يمزق كاحله ..

الذى هو مترجم كذلك .. وأثار منظرنا الجاد - كأننا
ذاهبان للحرب - فضول أكثر من رأنا من أفراد
الوحدة .. وقد دنت (برنات) منا فحيته ، ثم سألتنى
عما هنالك ، فقلت لها (سر) ..

قالت كأنما تصارحنى بمدى حماقتى (وكان كلامها
همساً) :

- « إن لم تخنى الذاكرة فهذا الذى تمشى معه هو
(آلان بارساد) ..

وهو صياد فرنسى .. لكنه وغد ونصاب .. وأعتقد أنك
لا تعلم أنه كان من جنود المرتزقة فى الستينات .. »

- « أعلم ... »
- « وأية جدوى تجنيها من مرافقة عقرب كهذا ؟ »

- « ربّما كانت العقارب مستحبة عندما نرغب فى
قتل الثعابين .. »

- « ثعابين ؟ لا أفهم ... »
- « إنها تلك الأفعى الهندية التى تعض الأطفال .. »

- بدا عليها الدهول قليلاً .. ثم هزت رأسها كأنما
تأبى الأمر كله .. وتساءلت بصوت مسموع :

- « هل ستأخذه معك يا مسيو (بارساد) فى
رحلتك ؟ »

قال لها بسماجته المعهودة :

- « حتماً .. إن الصبى يحتاج إلى مران .. »

- « سيموت منك ! »

- « هذا وارد .. فأنا لا أعد بالحياة .. هذا بيت

القصيد يا دكتورة . »

كانت تتصرف كأم مذعورة تخشى أن يؤذى وليدها ..

وقد أسعدنى هذا بقدر ما أخرجنى .. أنت تذكر

شعورك حين كانت أمك تتدخل لصالحك أيام المدرسة

فى مشاجرة بينك وبين أحد أترابك ..

قلت لها لأنهى الحرج :

- « (برنات) .. لقد قررت وانتهى الأمر .. »

- « أنت معتوه ! »

وابتعدت - محمر الأذنين - مع (بارساد) .. وأنا

أحاول ألا أنظر للوراء ..

★ ★ ★

كان ذلك عند المساء ..

إذ وصل مصاب جديد إلى وحدة الطوارئ فى

(سافارى) .. لم أعرف هذا إلا بالصدفة ، إذ كنت

هناك أنتقى بعض الأشياء للحملة ..

وعرفت من رجال الإسعاف السود أن الرجل من قرية تدعى (موجابا) وهو صياد دخل الدغل صباحًا ثم خرج منه عند الغروب .. لكنه لم يخرج على قدمين .. (موجابا) ! أين سمعت هذا الاسم من قبل ! كان عملاقًا أسود تلتمع عضلاته كأنما قذت من أبنوس ..

وكان يرتدى قميصًا مهلهلاً .. هذا هو كل ما يمكن رؤيته .. أما الباقي فأتركه لخيالكم .. لقد وجد (روح الأدغال) مرحةً كبيراً هذه المرة .. كان (بيتر) طبيب الطوارئ الألماني عاكفاً على تركيب قناة وريدية في عنق العملاق ، وهو يردد :
- « أية بشاعة هذه ؟ لقد عم الجنون العالم ! »
ودار المشهد التقليدي من ركض الممرضة لإحضار الدم .. ومن زجاجات المحاليل ومن ربط الجروح ..
ومن

أما أنا فرحت أراقب المشهد بلا مبالاة ... كنت من البداية قد رأيت الموت واقفاً عند رأس المريض ..

وليس هذا استهتاراً مني أو قسوة ..

كل ما هنالك أن هناك أربعة سواي يُعونون بالمريض .

ورأيت الشفتين المتشققتين للرجل تتحركان وعينيه المفتوحتين الشاخصتين تبحثان عن يصفى ..

دنوت منه وأشرت إلى عامل (كاميروني) يعرف الفرنسية ، أن يترجم لي ما يقول بلغة (البانتويد) ..
- « (ماكوبكا) .. هي .. كريهال .. أونجا .. »

ثم سيل من الكلمات المتقطعة الشبيهة بالفحيح .. وهنا انتابه هياج مفاجئ وحاول النهوض فتشبث به الجميع كي لا ينتزع خراطيم المحاليل والإبر .. إن هذا البانس قوى كثور .

وفي اللحظة التالية همدت حركته تماماً .. وخرج الزبد من فيه .. وأدركنا أن كل شيء قد انتهى .. دنوت من العامل الكاميروني الذي كان يلهث كالبركان .. وسألته :

- « ماذا قال لك ؟ »

نظر لي في ذعر .. ثم ابتعد مسرعاً

- ومع ذلك لا تريد الكلام ؟ »

- « لا يا سيدى .. »

هنا احمر وجهه بروفيسور (بارتليه) فتحول إلى
ثمرة طماطم مكتنزة وهتف :

- « أنا لا أطلب منك الكلام .. بل أمرك به ! »

ظل المسعف مطرقاً رأسه متحاشياً رفع عينيه ..
وقال :

- « آسف يا سيدى .. لا أستطيع .. »

- « وهل لى أن أعرف السبب ؟ »

- « لا أستطيع الكلام .. آسف ! »

نظر لى المدير ذاهلاً .. فلم يتوقع أن يقاوم الرجل
سلطته وهو - ككل من لا يتمتع بشخصية كاسحة -
عصبى جداً من أعماقه .. مستعداً لأن يدمر الرجل
تدميراً لإثبات قياديته وقوة شكيمته ..

سألنى بصوت مبحوح :

- « ماذا أفعل مع هذا الأحمق ؟ »

قلت فى هدوء :

- « إن انتزاع الأظفار بالبُنسة أو الحرق بالكهرباء
لهما نتائج لا بأس بها .. لكنهما ليسا من الأساليب
المحبية كما تعلم .. »

٧ - الآن نتحرك ..

- « إن هذا الأحمق لا يريد الكلام .. »

- « مستحيل .. استدعه ها هنا .. قلت لى

ما اسمه ؟ »

- (جوالا) .. إنه مسعف .. »

وأمسك المدير سماعة الهاتف واتصل بمدير
المستخدمين يسأله أن يرسل من يدعى (جوالا)
لمكتبه ..

ومرت دقائق من الصمت ثم انفتح الباب ، ودخل
الأخ (جوالا) بكتفين منحنيين مثقلتين بالهموم ..
ولم يرفع عينيه نحونا قط ..

قال المدير فى لهجة ودود :

- « (جوالا) .. إن د. (عبد العظيم) يقول إنك

آخر من سمع كلمات الوطنى الذى توفى منذ ساعة ..
فهل هذا صحيح ؟

- « صحيح يا سيدى .. »

- « ليكن .. اتصرف يا (جوالا) .. وليكونن حسابك
عسيراً فيما بعد .. »
ودون كلمة اعتذار واحدة اتصرف المسعف وهو
يتنفس الصعداء ..

فما إن اتغلق الباب حتى صاح المدير في غيظ
وذ هول :

- « رأيت ؟ إن أولئك الحمقى يتطيرون من كل
شيء حتى من أصابع أقدامهم .. إنه يخشى الكلام
عن الشر الذي تحدث عنه المتوفى كي لا يطارده هذا
الشر هو وأسرته .. وكأتما عدم الكلام عن الشيطان
كاف لإلغاء وجوده .. إن هذه العادات المحلية تشير
جنونى .. »

قلت متنهداً :

- « المشكلة هي أن المتوفى كان أول رجل يرى
(روح الغابات) ثم يتكلم عنها .. ولا بد أن ما قاله
كان مهماً جداً .. »

قال المدير ما معناه أن (يا خبر النهاردة بفلوس
بكره ببلاش) .. واسترخى في مقعده وقال :
- « ما علينا .. غداً تعود لنا أنت و (بارساد)

ومعكما الخبر اليقين .. هل استعددت للسفر تماماً ؟ »
- « لم أكتب وصيتي بعد إن كان الاستعداد يتضمن
هذا .. »

- « متى تتحركان ؟ »

- « فى السابعة صباحاً .. سنكون فى (موجابا)
عند الظهيرة .. »

- « إن أتمنى لكما حظاً سعيداً .. لقد بدأت إجازتك
من اليوم .. »

- « أرجو ألا تكون مفتوحة .. »

ابتسم المدير ولم يقل شيئاً :

★ ★ ★

تناولت أسوأ إفطار فى حياتى .. ثم اتجهت إلى
العربة الـ (لاندروفر) مع (بودرجا) .. الذى راح
يتسلى بمضغ بعض الأوراق المخدرة مع السائق ..
وهى أوراق تخرج عصيراً أحمر يملأ فم الماضغ
ويسيل على ذقنه ، حتى يبدو مثل مصاصى الدماء فى
أفلام شركة (هامر) القديمة ..

وجاء (آلان بارساد) وقد حرص على أن يبدو
وغداً بكل ما فى الكلمة من معان .. ارتدى قبعة

واعتمر بندقية ، ولفافة التبغ المقيّنة لا تفارق شفّتيه ،
كأنما هو ذاهب إلى رحلة (سافاري) حقيقية حين لم
يكن لغابات (إفريقيا) صاحب ..

قلت له في سماجة :

- « لم يبق إلا أن يأتي الحمالون الأفارقة .. وعندما
نصل لهدفنا يجبنون جميعاً لكنك الوحيد الذي يجرف ..
باعتبارك البطل الأوروبي .. »

قال في جدية :

- « وأنت ؟ »

- « أنا عربي .. وبالتالي أنا تاجر رقيق .. ألم
تقولوا هذا في أدبكم مراراً ؟! »

ابتسم وهو يتخذ مكانه في السيارة .. وقال :

- « أنت تقرأ قصصاً مصورة أكثر من اللازم ..
هذا هو بيت القصيد .. »

ثم - بلهجة مسرحية - هتف :

- « انطلق .. ولترع السماء حملتنا ! »

وهدر محرك السيارة لتبدأ الرحلة الرهيبة ..

★ ★ ★

وصلنا إلى (موجابا) في الواحدة بعد الظهر ..

وكانت قرية كأيّة قرية أخرى من قرى (البانتو) ..

و (البانتو) أصلاً هم القبائل السوداء التي تسكن
(إفريقيا) من خط الاستواء حتى الجنوب ، وهم
أساساً قادمون من الشمال .. وسوادهم أقل من سواد
باقي الأفارقة ، والسبب هو اختلاط دمهم بدم
(الحاميين) ..

وبين (البانتو) تجد قبائل (البافندا) و (الباكويينا)
و (الدمارا) .. وعامة تحمل القبيلة اسم رئيسها
مسبقاً بكلمة (أما) ..

ويؤمن (البانتو) بآله واحد يسمونه (أمكولو
نكولو) هو الذي خلق الإنسان من طين ، وإن كانوا
ينظرون له نظرة أقرب إلى نظرتنا نحن إلى سيدنا
(آدم) ..

وليس لك (بانتو) لغة واحدة .. بل إن لديهم
٢٧٤ لغة كلها تمتاز بأن آخر الكلمات متحرك دائماً ..
وأول الكلمات متشابه دائماً ..

لكن هناك حروفاً تصدم سمعك ، مثل طقطقة
اللسان .. فهذا حرف من حروف (البانتو) ! كما
أنهم يتهتهون كقبائل (الهوتنتوت) ..

وليس نشاط (البانتو) زراعياً .. بل هو نشاط

رعوى أساسًا .. لهذا يدفعون المهر - ويسمونه
(لوبالا) - بالماشية ..

ويستطيع من يعرف (إفريقيا) أن يستدل بسهولة
على بيت الزعيم وسط قرى (البانتو) لأنه يكون
مركز القرية بالضبط ..

بقي أن أقول إن (الكامبيرون) بها مائتا قبيلة
وعشرة آلاف من الأقزام !

★ ★ ★

كانوا جميعًا عازفين عن الثروة ..

وحين سألنا زعيم القرية عن (ماكوبكا)
ومغامرته .. وعن الخطر الكامن في الدغل .. وعن
حوادث مشابهة حدثت في قريته ؛ لم يبد مستعدًا
للكلام .. اكتفى بإبداء ذلك التحفظ المتطير المألوف ..
طلب منه (بارساد) أن يرسل معنا من يشاركنا
في الرحلة .. لكنه قال في كبرياء :

- « أبناء (موجابا) لا يعملون حمالين لدى
الأبيض .. »

أفهمه (بارساد) أن المطلوب ليس حمالين بل
أدلاء .. لكن الرجل ظل على عناده .. وفهمنا على

الفور أن الرجل خائف من هذه الرحلة على أبنائه ..
وتناولنا طعامًا جلبته لنا النسوة .. كنت مشمئزًا
لكني أدرك جيدًا أن المدلل يجب أن يبقى في داره ..
وليس أسهل من إهانة المضيف إذا أظهرت الأشمئزاز
على وجهك ..

لكن الطعام لم يكن رديئًا .. كان نوعًا من عصيدة
الذرة مع قطعة من لحم البقر المسلوق تأكلهما بيديك
طبعًا ..

وحين انتهى الطعام أدركنا أن الزعيم يتوقع منا
الرحيل ..

فلم نكذب خبرًا ..

★ ★ ★

الآن نمشي في الغابة وسط الأشجار المتشابكة ..
كنا أربعة لا أكثر : أنا و (بارساد) و (بودرجا)
والسائق الأسود الذي يدعى (موفيرو) ..

وعلى الفور قام (بارساد) بتوزيع البنادق علينا ..
وأنا لم ألمس سلاحًا في حياتي .. لهذا لم أر داعيًا
لحملة .. ولم أفهم حرفًا مما قاله لي عن كيفية
الإطلاق ..

لكن (بارساد) قال لى فى حزم :

- « حاول أن تركز .. لو رأيت أسداً هائجاً يخرج من وراء الأشجار فى هذه اللحظة ، لتمنيت لو لم تكن

شاعرياً محبباً للسلام إلى هذا الحد .. »

- « لكنى لا أجيد التصويب حتى على عمارة أنا

بداخلها .. »

وتذكرت المهازل التى كنت أسببها كلما حاولت لعب

الرماية فى (المولد) حين كنت فى (مصر) .. إن

طلقاى كانت تصيب كل شىء سوى (البومب) الذى

يملاً الهدف .. وفى الجيش كنت طبيياً أكثر منى جندياً ..

لكن (بارساد) قال بنفس الحزم :

- « إن التصويب غريزة لا أكثر .. دع لفطرتك

العنان ولسوف تطلق الرصاص فى الاتجاه الصحيح .. »

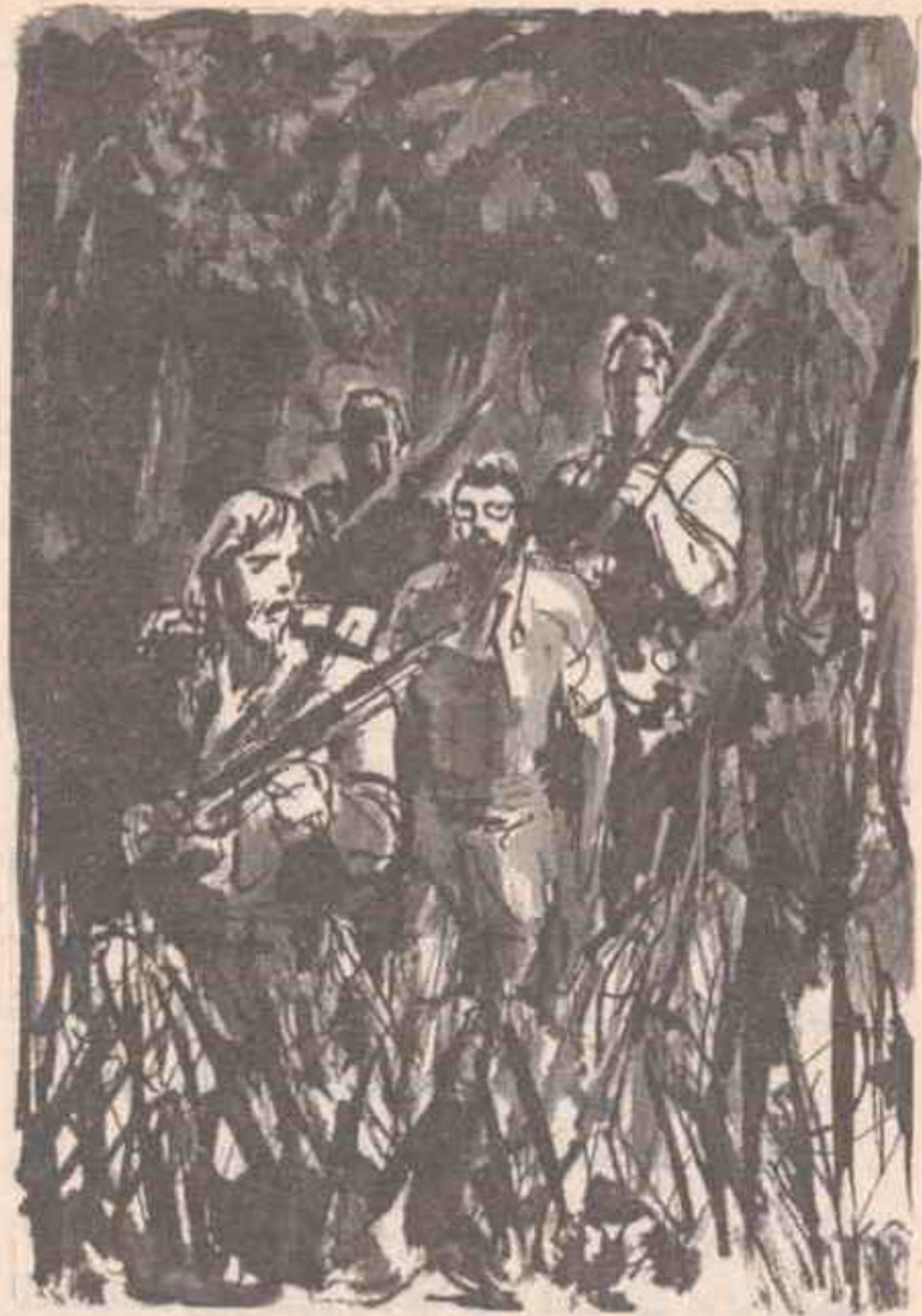
ثم ناوئنى خنجراً صالحاً للالتحام ..

أما هو فكان مسلحاً كترسانة ، وكان يحمل مسدساً

خاصاً للطلقات المخدرة أو الـ Darts كما يسميها ،

وكان خنجره جميل الشكل مزوداً ببوصلة فى

مقبضه ..



الآن نمشى فى الغابة وسط الأشجار المتشابكة ..

كنا أربعة لا أكثر ..

الخلاصة أنه (بدا) قويًا شجاعًا .. لكنى لست متأكدًا من (كونه) كذلك ..

★ ★ ★

مشينا نصف ساعة في الدغل ..

وقال (بارساد) وهو يتقدمنا دون أن يدير وجهه :
- « نحن الآن في منطقة (اللا بشر) التى لم يجروا
واحد من أهالى القرية على الوصول إليها .. إن
(التابو) يحرم عليهم ذلك فى عقيدتهم .. لكنى وصلت
إلى هذا الحد مرارًا بل وتجاوزته بنصف ساعة .. لكن
ما أبحث عنه لم يظهر قط ، وما كان بوسعى أن
أنتظره وحدى .. والآن لو نظرتم إلى الأرض لوجدتم
فرائنا منهوشة .. أو سيقان حيوانات .. هذا هو
ما يؤكد لنا أن الطريق صحيح .. »

سألته وأنا أرمق الأشجار فى توجس :

- « وماذا سنرى بعد نصف ساعة ؟ »

- « النهر المدعو (كرا - آل) .. لكنى لم أتجاوزه

قط .. ولم أحاول المشى بمحاذاة .. »

كانت هناك أسرة من الغورييلات على بعد خمسين

مترًا أمامنا فى فرجة بين الأشجار ..

وأنا لم أر هذه الوحوش قط حتى فى حديقة
الحيوان (لست متأكدًا إن كانت هناك أصلاً) .. لذا
بدا من المستحيل أن أمر قريبا ..

لكن (بارساد) قال فى صوت خفيض :

- « سنمر بها دون مشاكل .. اخفضوا رؤوسكم

ولا تحدثوا ضوضاء .. »

وقد كان ..

لم تتحرك الحيوانات الملولة حين رأنا ، ولا ألومها
على ذلك ، إن كل الكتب تقول إن الغورييلات حيوانات
وديعة تأكل الخضر .. وثوراتها كثورات البروفسور
(بارتلييه) غير جادة وغير خطيرة ..

لكن هل تقرأ الغورييلا هذه الكتب !؟

★ ★ ★

كان الذباب يتزايد من حولنا .. والحر قائظ مرهق ..

لكنى كنت قلقًا من اللدغات التى ملأت جلدى ..

سألت (بارساد) فى توتر :

- « كيف نعرف أن هذا ليس ذباب (تسمى تسمى) ؟ »

- « من العسير أن تجد (تسمى تسمى) بعيدًا عن

القطعان .. لكن الخطر وارد على كل حال .. لهذا

أخذنا جميعًا حقن (البنتاميدين) أمس .. »

واستطرد وهو يشعل لفافة تبغ :

- « إن الـ (تسي تسي) قد قُلت من الماشية
أضعاف من قُلتته من البشر .. والمرض يسمونه في
الماشية باسم (ناجانا) .. أما في الإنسان فيسمونه
(مرض النوم) .. »

- « أعلم .. أنت تحدث طبيياً على كل حال .. »

لكني لم أكف عن القلق من هذا المناخ المليء
بالمرض ..

برغم أنني صرت قديماً في (سافاري) ؛ إلا أنني
لم أجرب قط هذه الحملات في الأدغال .. وأعترف
أنها تثير القلق ..

★ ★ ★

بعد مشى طال ، توقف (بارساد) والتقط شيئاً من
الأرض ..

سألته وأنا أنحنى لأريح ظهري :

- « ماذا وجدت ؟ الزائدة الدودية لأحد الضحايا ؟ »
مدّ يده ليبريني غصن شجرة مهشماً ، وقد ربط إلى
طرفه غصن آخر مُستعرض .. وكان من ربطهما قد
استعمل قطعة قماش خضراء زاهية اللون ..

كان ما وجدته (بارساد) أقرب إلى مطرقة بدائية ..
لكن ما تبقى من الغصن على الأرض أقنعني أن هذا
عكاز .. عكاز مهشّم .

تساءل (بارساد) في خيبة أمل :

- « إذن فهناك من وصل إلى هذه المرحلة .. »

قلت وأنا أبحث في المكان :

- « ولم يعيش طويلاً .. إن الوطني الذي مات في
(سافاري) أمس كان يرتدي ما تبقى من هذا القميص
زاهي اللون .. »

- « وهل كان يعرج ؟ »

- « لم يكن له قدمان حين رأيناه ! »

وبدأت الصورة تتضح أمامنا ..

لقد وصل (ماكوبكا) إلى هنا .. وقد كُسرت ساقه
أو التوت مما اضطره إلى اصطناع عكاز بدائي .. ثم
تهشّم العكاز فصار في مأزق .. إن الخطر داهم هاهنا
على من يملكون ساقين .. فكيف به مع من لا يستطيع
الوقوف ؟

المذبحة قد بدأت هنا .. ولكن أين آثارها ؟!

★ ★ ★

المتشابهة .. لهذا بدا الأمر لي كأنما نمشى في نفق
تحت الأرض ..

لكن الظلام لم يكن دامساً بالطبع .. كانت هناك رقع
عديدة من ضوء الشمس تتسرب من ثغرات الأغصان
وتلتصق على الأرض ، كأنما هي قطع عملات من الذهب
بعثرها أحدهم بسخاء وإهمال في كل صوب ..
ثم سمعنا صوت الهدير ..

★ ★ ★

على الفور - وغريزيًا - اتخذنا أوضاعاً دفاعية
ممتازة ، وقد شهر كل منا بندقيته في اتجاه ..
وبعد دقائق هدأ روعنا لكن الهدير لم يتوقف ..
رتيباً خفيضاً موجساً ..

- « ما هذا ؟ »

قال وهو يلهث انفعالاً :

- « لا أدرى .. »

- « هل توجد وحوش لها هذا الصوت ؟ »

- « ربما ذكر الغوريلا .. لكن لا .. لم أسمع

قط .. »

نهضنا وقد استرخينا قليلاً ..

٨ - الشيء في الأدغال ..

هو ذا نهر (كرا - آل) ..

وهو ليس بنهر - أو هكذا أظن - بل هو بركة
أسنة مغطاة بالطحالب تذكرني بمصرف مهمل في
إحدى قرانا ..

وكان مزداناً على الضفتين بجذوع أشجار خشنة
مزخرفة ، وتذكرت هذا المشهد على الفور فقد رأيت
في السينما مراراً ..

- « تماسيح ؟ »

هزّ (بارساد) رأسه أن نعم .. وواصل التقدم
جوار الضفة .. فسألته :

- « ألن تهاجمنا ؟ »

- « نعم .. إنها تتحين الفرص التي تأتي لها ..

لكنها لا تهاجم نهاراً .. لا تنس أن هذه الزواحف ذات
دم بارد .. والحر يقتلها قتلاً .. »

كانت السماء مظلمة تماماً بفعل غصون الأشجار

لكننا ظللنا يقظين .. وقد راح قلبي يخفق كجناحي
عصفور طنان ..

★ ★ ★

لو كان هناك شيء ما فهو لم يهاجمنا بعد .. فلماذا ؟

★ ★ ★

بعد ثوان لمحنا أروع منظر تصورنا أن نراه ..
فعلى حافة النهر وعلى امتداد شاسع كان ذلك
البناء العملاق .. بناء من الأسمنت كنيب المنظر لكنه
يمتد لمساحة لا بأس بها .. وكان هناك سور من
الأسلاك الشائكة ارتفاعه ثلاثة أمتار يفصله عن باقى
الدغل .

ورأينا مدخنة كمدخن المصانع يخرج منها دخان
أزرق مريب الشكل ، بينما صوت الهدير فى أعلى
درجة له .. وعرفنا على الفور أن هذا هو مصدره ..
هذا المبنى الشيطاني الذى يقف كشبح فى وسط
الدغل ، حيث لا تتخيل وجوده حتى وأنت تراه رأى
العين ..

هتفت فى ذهول :

- « رباه ! هل رأيت هذا من قبل ؟ »

نظر لى فى ذهول مماثل .. وعيناه جاحظتان
كالأسماك .. وكانت إجابة بليغة جدًا : هو لم ير هذا
من قبل .. ولم يسمع عنه .. ولم يتصور مجرد
وجوده ..

عدت أسأله :

- « كيف لم يره أحد من قبل ؟ »

أشار إلى السماء فوق البناية .. وقال بصوت
مبحوح :

- « لقد أجادوا التمويه .. توجد شبكة فوق البناية
بها أغصان متشابكة وأوراق شجر .. وهذا يجعل
رؤية هذا الشيء من الجو مستحيلة .. أما من على
الأرض ، فليس هناك من يجرو على اجتياز الدغل إلى
هذه المرحلة .. »

- « تمويه ؟ تمويه لأى شيء ؟ »

- « لا أدري .. هذا هو بيت القصيد .. »

ثم أشار لنا كى نرقد على بطوننا وسط الأعشاب
والنباتات المتخمرة .. وعاد يهمس :

- « على الأقل قد عرفنا أن هذا المبنى موجود .. »

وأن نشاطًا مريبًا يجرى فيه .. »

ومن بعيد رأينا شخصين يتحركان .. كاتا قد خرجا
من أحد أبواب المبنى ليعبرا الرقعة الخالية من
الأشجار ، قاصدين بابًا آخر ..

كان زيهما موحداً جعلني أتذكر زى رجال الأمن ..
وكاتا يتكلمان بصوت مرتفع حمل لنا الهواء بعض
مقاطعه ..

غمغم (بارساد) همساً :

- « ألمان ! لقد عادوا إلى (الكاميرون) أخيراً .. »
وبالطبع كانت هناك ثلاثة أو أربعة كلاب هائلة
الحجم ، تجول في حرية تامة خلف السلك الشائك ،
لكنها لم تميز روائحنا ..

- « دعونا ندر حول هذا المبنى .. علنا نعرف
أكثر .. »

ورحنا نزحف على بطوننا ببطء ، صانعين دورة
كاملة حول المبنى ..

وأخيراً استطعنا أن نرى نقطة اتصاله بالنهر ،
ورأينا ذلك الخرطوم هائل الحجم - اتساعه خمسة
أمتار - الذي يتدلى في النهر ، وقد راح يصب مادة
خضراء كريهة في الماء .

- « ويحي ! إنها لجريمة بيئية شنيعة ! »
قالها (بارساد) همساً ..
قلت له :

- « ولكن ما معنى هذا ؟ إن من يقيم مصنعاً وسط
الدغل لا يقيمه لإنتاج الحلوى بالتأكيد .. فماذا ينتج
هذا الشيء ؟ »

- « لا أدري .. »

- « ربما هو مفاعل نووي .. »

- « لا تبدو كهذا .. إن المفاعلات أكثر تعقيداً
بالتأكيد .. »

- « إذن هلم نعد .. »

- « لا .. ليس بعد .. إننا لا نملك أية إجابات على
أية أسئلة .. »

ومدّ يده إلى حقيبته فعبث بها قليلاً ، حتى أخرج
كاميرا ثبت عليها عدسة تلسكوبية هائلة الحجم كالتى
نراها في إعلانات (أجفا) ..

وراح يمسح المنظر بعينه .. ثم التقط بعض صور ..

★ ★ ★

قال إن الألمان عادوا إلى (الكاميرون) ..

الواقع أن الألمان ظلوا في (الكامبيرون) فترة قصيرة نسبياً .. فمن الواضح أنهم لم يكونوا ذوي ميول استعمارية في (إفريقيا) ، بل كانوا ينظرون في جشع إلى (روسيا) و (أوروبا) فحسب .. إن اكتشاف (الكامبيرون) يعود إلى عصر الكشوف الكبرى .. وقد اكتشفها البرتغالي (فرناندو بو) .. وهو من سمى خلجانها باسم (ريو دوس كامبيروس) أي (نهر البراغيث) ، وهو اسم يدلنا على ما عاناه بسبب البراغيث في حملته !

ومن لفظة (براغيث) البرتغالية نشأ اسم (كامبيرون) ..

وفي البداية كان هناك تعاون تام في التجارة مع قبائل (دوالا) ..

إلا أنه في عام ١٨٨٤ قررت (ألمانيا) أن تلعب لعبة الاستعمار التي تمارسها (إنجلترا) و (فرنسا) و (هولندا) ببراءة .. وسرعان ما وقعت معاهدة تخول لها الاستيلاء على البلاد .. لكن المواطنين قاوموها بعنف ..

وكانت الإدارة الألمانية فاسدة مهملة .. ولم تحاول

قط إنشاء طرق أو مدارس أو إرساليات أو أي شيء مما يوظد سلطة المستعمر في الأرض التي يستولى عليها .. لقد مارست (ألمانيا) لعبة لا تجيدها .. وكانت النتيجة هي أن الألمان خرجوا من البلاد عام ١٩١٦ ، واحتلتها البريطانيين والفرنسيون .. ولم يتم تقسيم البلاد إلا عام ١٩٤٦ حيث صارت جزأين .. الجزء الشمالي انضم إلى (نيجيريا) .. والجزء الجنوبي صار اسمه (جمهورية الكامبيرون المتحدة) وكانت تحت النفوذ الفرنسي تماماً (*).

★ ★ ★

قلت لـ (بارساد) :

- « والآن هلم نرحل .. أرجوك .. »

همس وعيناه الوحشيتان تلتمعان :

- « لا بد من معرفة ما هو أكثر .. إن هناك جهة ما

قوية يهملها ألا ينتشر أمر هذا المعمل أو المصنع ..

وهذه الجهة يمكن ابتزازها واللعب معها بحرص ..

لا بد أنهم مستعدون لدفع الملايين .. »

(*) شهد عام ١٩٦١ استقلال عدد هائل من الدول الإفريقية .

ومن بينها (الكامبيرون) التي استقلت في أول يناير .

لقد سال لعابه ..

هو ذا المرتزق القديم قد ظهر إلى الوجود من جديد ..
المرتزق الذى يقامر فى الخطر بحياته من أجل المال
فقط ..

وأشعرنى هذا بعدم راحة ..

فلو كانت الأفلام السينمائية على حق ، فالخطوة
التالية هى أن يتخلص من الحمقى الثلاثة كى يضمن
صمتهم .. أى يقتلنى أنا و (بودرجا) والسائق ..
لكنى كتمت خواطرى السوداء ، ورحت فى تعاسة
أصغى لما يقول ..

قال لاهتاً من فرط انفعال :

- « ثمة أسئلة تحتاج إلى إجابة .. من هؤلاء ؟ كيف
أنشئوا هذا الصرح دون علم حكومة (الكاميرون) ؟
وإن كان بعلمها فلماذا ؟ ماذا ينتجون ؟ كيف يتصرفون
فيما ينتجون ؟ »

كانت إجابة السؤال الأخير سهلة جداً ..

لأن هدير طائرة هليوكوبتر ملاً أسماعنا .. ثم رأينا
ثغرة تفتح فى السماء المزيفة التى تعلو المبنى ..
ثغرة لا بأس بها .. ثم رأينا حبلاً سميكاً يتدلى من
الثغرة وفى نهايته خطافان .. لكننا لم نر الطائرة ..

- « هذا منطقي .. سيرفعون الشىء جواً ثم يعيدون
إغلاق الثغرة .. »

وراح يسلط عدسة الكاميرا على المشهد ..
لم يكن واضحاً لعيوننا .. لكنه استطاع بعدسته
التليسكوبية أن يرى ما يحدث جيداً .. لقد تم تثبيت
صناديق خشبية فى الخطافين .. وسرعان ما بدأ
(الونش) يرتفع حاملاً حمله الثمين .. وقال
(بارساد) :

- « التحذيرات المكتوبة على الصناديق بالألمانية ..
لحسن الحظ أننى أجيدها .. لحظة .. هذا التحذير يقول :
سام جداً .. تعامل بحذر .. ثم .. GA .. GB .. و GD ..
لا أفهم .. »

قلت وأنا أرتجف انفعالاً :

- « الأمر واضح .. هذه غازات أعصاب ! »
أبعد الكاميرا عن عينه ونظر لى فى حدة .. وهتف :
- « هل تعنى ؟ »
- « نعم .. أعنى أن هذا معمل لإنتاج الغازات
السامة ! »

★ ★ ★

لـ (جيمات الثلاث) يحقنون أنفسهم قبل القتال بمادة
(البيريدي وستجمين) التي تقيهم من الهول القادم ..
وهي مادة تحمي الـ (كولين إستريز) بشكل مؤقت ..
إن إنتاج هذه الغازات محرّم دوليًا ..
لكنه - كأي شيء محرّم - يُمارس في كل مكان ..
وعلى أوسع نطاق ..

★ ★ ★

« هذا هو بيت القصيد ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

من ضمن الغازات السامة التي اشتهرت بعد الحرب
العالمية الأولى - حيث ساد استعمال غاز (ليفيزايت) -
بدا أن هناك ثلاثة أنواع من الغازات تحظى بشعبية
خاصة ..

وكان الاسم الذي عرفه الناس لهذه الغازات هو
(غاز الأعصاب) .. أما العسكريون فكاتبوا يسمونها
(الجيمات الثلاث) 3G ..

وهذه الغازات هي GA أو غاز (التابون) .. وGB
أو غاز (السارين) .. وGD أو غاز (السومان) ..
والثاني هو أشهرها كما نعلم ..

وبرغم كونها غازات إلا أنها في الحقيقة تُحفظ في
حالة سائلة ..

وتتقى من الناحية الصيدلانية إلى ما يسمى
بمضادات الـ (كولين إستريز) .. أي أن التسمم بها
شبيه بتسمم المبيدات الحشرية ..

وتأخذ الأعراض شكل (قيء - مغص - إسهال -
انقباض في الشعب - تبول لا إرادي - صداع - ثم
الغيوبة النهائية المؤدية إلى الموت) ..

وحين يعرف الجنود أن هناك خطر التعرض

٩- وداعًا يا (بارساد) ..

قال (بارساد) :

- « قد فهمنا نصف ما أردنا فهمه .. لكن هل أقيم هذا المعمل بعلم الحكومة أم دون علمها ؟ أستبعد أن يقدر هؤلاء القوم على تشييد مبنى كهذا في الأدغال خلسة .. »

ثم همس وهو يعيد الكاميرا إلى حقييته :

- « سادنوا لأرى أكثر ! »

- « لا تفعل .. لقد جننا كي نقتل (روح الأدغال)

لا لنلعب دور (جيمس بوند) .. »

- « هذا المبنى هو روح الأدغال .. وأقسم على

هذا .. »

وأمرنا أن نبقى حيث نحن لا نتحرك

وكما يفعل جندي العمليات الخاصة ؛ راح يزحف

على بطنه في بطنه ، دانيًا من السلك الشائك أكثر

فأكثر

همس (بودرجا) :

- « لكن الكلاب .. الكلاب ستشم رائحته .. »

- « لا بد أنه يعرف ما يفعله .. »

ودنا (بارساد) من السلك ، فأخرج أداة أشبه

بمقياس الجهد (فولتا متر) من حقييته ولامس بها

السلك .. كان يريد التأكد من أنه ليس مكهربًا .. وهو

تصرف ذكي بالتأكيد ، لكني لن أفهم أبدًا سرّ عمله

لجهاز كهذا ، وهو يعدّ لصيد وحش في الأدغال !

لن أفهم هؤلاء المغامرين أبدًا ..

ثم إنه - منبطحًا على بطنه - أخرج (كماشة)

راح يعالج بها السلك في صبر محاولاً عمل ثغرة ..

قال (بودرجا) في حيرة :

- « هذا الرجل يحمل كل شيء .. هل كان يتوقع

مصادفة سلك شائك في الدغل !؟ »

قلت محاولاً كبح غيظي الشديد :

- « إنه مرتزق قديم .. ولا بد أن هذه هي ذات

الحقيقية التي كان يحملها في أثناء عمله مع (تشومبي)

ضد (لومومبا) (*) ..

(*) (لومومبا) زعيم وطني محبوب من (الكونغو) حاول

تأمين موارد البلاد من (اليورانيوم) .. من ثم تم ترتيب انقلاب

بقيادة (تشومبي) وتم اغتياله في الستينات ..

لكن لكل جواد كبوة .. و (حتى هومير يحنى رأسه)
كما يقولون ..

لقد لمس (بارساد) شيئاً ما .. وعندها انفتحت
أبواب الجحيم ..

أضاعت كشافات لا يعلم سوى الله أين كانت ..
ودوت صفارة إنذار كفيلة بإيقاظ الموتى ..

وسرعان ما رأيت حشداً من رجال يحملون بنادق
آلية ، ينتشرون خارجين من المبنى ، وتبعت الكلاب ،
ودوت الصيحات ..

ثم شخص يحاول التسلل .. مشطوا المكان !
- « يا للمصيبة ! غداً سريعاً يا (بارساد) ! غداً
أيها الذئب ! »

قلتها من بين أسناني .. وأنا أرمق المبنى الذي
تحول إلى شيء متوهج بالأضواء ، وأدركت أن ذبابة
لا تستطيع التحرك خارج السلك الشائك دون أن يروها
الآن ..

كان (بارساد) متصلباً ملتصقاً بالأرض يأمل في
أن تنتهي الضوضاء كي يتمكن من العودة ..

لكن بوابة انفتحت في السلك الشائك .. وسرعان



ثم إنه - منبطحاً على بطنه - خرج (كماشة) راح يعالج بها
السلك في صبر محاولاً عمل ثغرة ..

ما برز أربعة من الرجال ذوى الزى الموحد ، وكاتوا
يحملون بنادق غريبة الشكل ..
أما الأغرب فكان أنهم يضعون أقنعة الغاز على
وجوههم ..
وهنا فهمت !

★ ★ ★

صحت فى (بودرجا) و (موفيرو) :
- « أسرع ! فليضع كل منكما منديلاً على أنفه
وقمه .. »
وأخرجت منديلى وأحكمت ربطه على أنفى ..
ثم مدت يداً مرتجفة إلى حقيبتى .. أخرجت ثلاثة
محاقن وتسعة أمبولات من (الأتروبين) ..
وبحركات هستيرية ملأت كل محقن بثلاثة أمبولات ..
وأشرت إلى (بودرجا) كى يعطينى نراعه .. فتساعل
من وراء منديله :
- « لكن .. »

- « أسرع ! إنهم سيطلقون غازاً ساماً .. لا أدرى
كفاءة ما سأفعله ، لكن (الأتروبين) هو الترياق
المناسب لهذا الغاز .. »

وغرست إبرة المحقن فى نراعه .. وأنا أردد :
- « أريد أن يكون (الأتروبين) فى دمنا لو أطلقوا
غازاتهم .. »
هذا دم .. لا بأس .. أفرغت المحقن .. ثم طلبت
من السائق أن يناولنى نراعه ويبد مرتجفة أفرغت
المحقن الثانى ..

- « أسرع يا (بودرجا) ! »

ومدت يدى له كى يفرغ المحقن الثالث فى عروقى ..
وانتهينا من العمل فتمددنا على بطوننا نرقب
مسرح المعركة ..
وسرعان ما بدأ لعابى يجفّ وعيناي تزيغان ..
وشعرت أن الدم يوشك على الانفجار من وجهى ..
وقلبى ينبض كطبل ..
إن ثلاثة أمبولات من (الأتروبين) ليست بالشىء
الهيّن .. وأعراض تسمم (الأتروبين) يعرفها كل
طالب طبّ ، وكل مدمن مخدرات ممن يتعاطون
(الضاطورة) ..

كان الحراس يفتشون فى عناية بحثاً عن المتسلل ..
ورأيت أحدهم يدنو من موضع (بارساد) فينحنى
كأنما لاحظ شيئاً ما ..

في اللحظة التالية طارت قدم (بارساد) بحذائها
الثقيل في الهواء ، لتركل الرجل في أسفل بطنه .. ثم
ارتفعت القدمان واليدان لتحملا الرجل إلى حيث اصطدم
رأسه بالسلك الشائك .. ولمحت نصل خنجر يلتصق في
الظلام الذي بدأ يسود ..

ثم .. لا شيء

وعلى الفور نهض الفرنسي يزحف على أربع
مبتعداً عن موضع الحادث ..

لا بأس على الإطلاق .. فالرجل في الخمسين من
عمره لكنه يقاتل كالأبالسة .. وإبنى - بسنواتي التسع
والعشرين - لعاجز تماماً عن أداء ركلة كهذه ..

هل سيفعلها ؟

كان يحاول الزحف للحاق بنا .. وفكرت في أن
نهرع لنساعده .. (بودرجا) أوشك على ذلك ..

لكني أوقفته في حزم .. لن تزيد النتيجة على موت
أربعة بدلاً من واحد .. ويجب أن يظل أحدنا حياً ليبلغ

(سافاري) بما وجدناه .. ثم إن (بارساد) فرنسي ..
أى أنه يعرف فحوى فلسفة (سارتر) الوجودية :

نحن مسئولون عن قراراتنا حتى النهاية ..

هو الذي اختار المخاطرة .. فليتحمل إذن نتيجة
اختياره ..

إنه لم يستشرنا ولم يفعل ذلك لخلص أرواحنا ..
بل فعلها لأنه راغب في الابتزاز .. وهو هدف
لا يجدر بنا أن نموت من أجله ..

دع (بارساد) يحاول النجاة .. فهو قادر عليها ..

★ ★ ★

وهنا بدأ الغاز ينتشر ..

بدأ على استحياء يتصاعد من أربعة أماكن متفرقة
ثم بدأ ينتشر ويزداد كثافة ..

لقد فجروا بعض قنابل الغاز حينما أيقنوا أن هناك
دخيلاً ..

وها هو ذا الغاز يتصاعد من الأرض كأنما بدايات
ضباب .. غاز بلا رائحة ولا لون .. لكنه هو الموت
بعينه ..

وبهمس مسموع صحت في (بودرجا) من وراء
مندبلي :

- « فلنعد ! ربما يزداد أملنا في الحياة لو أبتعدنا ! »

★ ★ ★

١٠ - عودوا إن استطعتم !

الكابوس الأبيض ينتشر لأعلى رويدًا رويدًا ..
ونظرت إلى الورااء نحو (بارساد) .. كان آتيا
نحونا جريًا وهو يلوح ببندقيته ، ثم وقف في منتصف
المسافة وصاح في مرح :
- « هل ترون يا أصحاب ؟! إنهم يبعدون البعوض
لا أكثر ! »

وفي اللحظة التالية انفجر القيء من فمه ..
وسرعان ما تهاوت ساقاه تحته كأنه دمية (ماريونيت)
انقطع خيط الرأس فيها ..
وبعد ثانية ، هوى أرضًا ليغيب وسط الضباب
الكثيف ..

فقط كنت ترى يدا أو ساقًا ترتفع في تشنج ثم
تختفي ..

صحت في (بودرجا) بوحشية :

- « فلنسرع .. وإلا هو دورنا ! »

وانطلقنا مبتعدين عن المشهد

★ ★ ★

كان (بارساد) هو الوحيد الذي يعرف اتجاهنا
جيدًا ..

وأدركت أننا سنضل الطريق حتمًا ..

لكن يمكننا على الأقل استعادة بعض العلامات ..
النهر .. الأشلاء .. العكاز على الأرض .. أسرة
الغورييلات .. لا بد أن هذا سيقربنا من الخلاص جدًا ..
كنا نركض في هستيريا والأغصان تدمى وجوهنا ..
والفكرة المجنونة تطاردني : هل هم وراءنا ؟ هل
أطلقوا كلابهم ؟

لقد تصرف (بارساد) - ولا أومه - بطريقة تعلن
بوضوح أن معه آخرين .. وهم لن يتركوا هذا يمر ..
الآن فهمت سر أسطورة روح الأدغال ..

إن أفضل وسيلة لتحاشي الفضوليين هي إحياء
الأساطير الغابرة .. وأسطورة روح الأدغال هي خير
ما يصلح لذلك ..

أما الشجعان الذين لم يصدقوا الأسطورة فمن الخير
معاملتهم كما تقضى قواعد الأسطورة .. لا بأس من أن

يفقدوا ساقًا أو ذراعًا ثم يعودوا إلى قومهم ليموتوا ،
مبعثرين مع دمانهم علامات استفهام عديدة ..

ترى هل هم وراءنا الآن ؟

أجمل ما فى (الكاميرون) هو أن الأسئلة السخيفة
تتم الإجابة عنها سريعًا .. وقد كانت الإجابة على
سؤالي مختصرة جدًا ..

صوت نباح الكلاب من الخلف ..

★ ★ ★

قال (بودرجا) وهو يلهث :

- « فلنبق ملتصقين بالنهر .. »

سألته بدورى وأنا أركض :

- « هذا اقتراح جميل .. لكنى لا أفهم مغزاه .. »

- « إن التماسيح هناك .. والكلاب تخشاها جدًا .. »

- « جميل ! وإن كان الظلام قد بدأ يتغلغل ، والجو
يبرد .. أعتقد أن هذا هو وقت عشاء التماسيح على
ما أذكر .. »

- « ليس لدينا خيار .. »

وواصلنا الركض بينما صوت الكلاب يدنو ..

★ ★ ★

كان (موفيرو) أكثرنا حماسًا .. إذ سرعان
ما سبقنا بساقيه الطويلتين .. إن السود عداءون
ممتازون حقًا ، ولولاهم ما حققت (الولايات المتحدة)
شيئًا فى أولمبياد ألعاب القوى ..

واختفى عن عيوننا بعيدًا عن النهر ..

سرعان ما سمعنا صوت النباح .. وتعالى لحظة ثم
بدأ ينخفض ثانية .. والنتيجة الواضحة هى أن الكلاب
مرت بنا لاحقًا بذلك الأحمق .. إن غريزتها جعلتها
تختار الهدف البعيد عن النهر ..

ويبدو أن غريزتنا فعلت نفس الشيء .. لأنى
- أصارحك - لم أرتح كثيرًا للحركة الزائدة بين جذوع
الأشجار فى النهر ..

وأدركت أنه من السهل جدًا أن نتعثر فى تمساح
غاف غادر النهر من فوره .. أو يخرج أحدها فمه
الهائل من الماء ليمسك بساق أحدنا .. كل هذا وارد ..
لهذا ابتعدنا عن النهر مطمئنين لابتعاد الكلاب ..

ها هو ذا عكاز (ماكوبكا) .. إننا ندنو من النجاة ..
ندنو جدًا ..

وحبست أنفاسى ، ورحت أعدّ خطواتى ..

لا يمكن أن نفر بهذه السهولة .. مستحيل ..

★ ★ ★

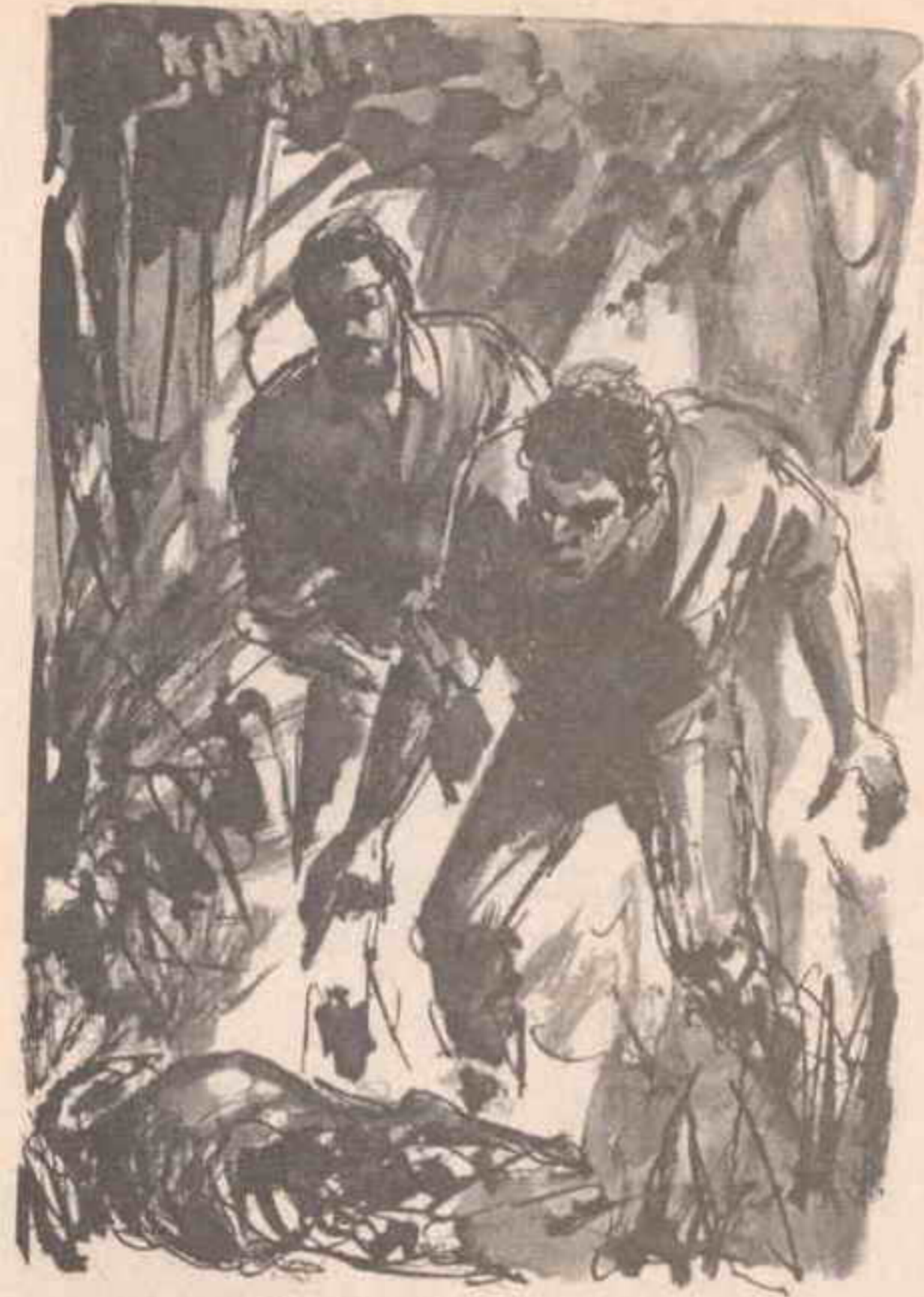
وهنا توقف (بودرجا) وأشار إلى الأرض ..
هناك بين الأعشاب استقر شيء ما لم أدر كنهه ..
وحين تأملته جيداً أدركت أنه النصف الخلفي لكلب
أسود ضخمة الجثة .. وبالتحديد من الكلاب التي كانت
تطاردنا ..

نظرت لـ (بودرجا) بعينين متسعيتين ..
إن من فعل هذا ليس هو صاحب الكلب بالتأكيد ..
ليس آدمياً حتماً ..
وليس تمساحاً لأن التماسيح تجذب ضحاياها إلى
الأعماق ..

إن من فعل هذا هو شيء ما ..
شيء يكمن في الأحرش على بعد أمتار من هنا ..

★ ★ ★

وخرج لنا رجل يصرخ من الأحرش ..
وتبيننا أنه هو السائق (موفيرو) .. وقد اصطدم
بنا في فراره المحموم ، فلم يكذ يعرفنا ، وحين تكلم
أدركت أنه نسي الفرنسية .. فقد راح يولول بلغة
(البانتويد) ويقول كلاماً كثيراً ..



وهنا توقف (بودرجا) وأشار إلى الأرض ..
هناك بين الأعشاب استقر شيء ما لم أدر كنهه ..

١١ - المـول ..

فى البدء لم أدر ما هى

كان الذعر قد أفقدنى وضوح الرؤية ..

ثم بدأت أفهم .. فصرخت فى (بودرجا) أن يطلق

النار .. ورفعت بندقيتى وأطلقت طلقتى الأولى ..

★ ★ ★

دع لفطرتك العنان .. ولسوف تطلق الرصاص فى

الاتجاه الصحيح ..

★ ★ ★

لكنى لا أجيد التصوير حتى على عمارة أنا

بداخلها ..

★ ★ ★

دع لفطرتك العنان .. ولسوف تطلق الرصاص فى

الاتجاه الصحيح ..

★ ★ ★

كانت تلك الأشياء تمشى على قدميها الخلفيتين ..

سأله (بودرجا) عن شىء ما فأشار إلى الأحرار ،
وعاد يهذى ..

- « ماذا يقول يا (بودرجا) ؟ »

- « يقول .. يقول إن روح الأدغال مزقت الكلاب

جميعاً ، وكادت تفتك به .. إنها خلفه ! »

- « عم يتحدث ذلك المخبول ؟ »

وفى اللحظة التالية انفتح جدار الأشجار ..

ورأيناها

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

لكن الرأس والفكين والذيل والظهر المدرع كلها
تقول إن هذه تماسيح .. تماسيح تزيد في طول قامتها
عن ثلاثة أمتار ..

يوجد نقش فرعونى شبيهه بهذه الصورة .. ربما
للـ (ملتهمه) التى تفترس الخاطنين فى العالم الآخر ..
لا أذكر بالضبط ..

ولم أجد وقتاً للتذكر ..

لقد أجمنى الرعب فرحت أطلق الرصاص باتجاهها ..
ويبدو أن اثنين أو ثلاثة منها سقطت أرضاً .. لست
متأكدًا ..

رباه ! إن هذا - بالضبط - هو جوف الكوابيس ..

وسقط (موفيرو) أرضاً وهو يولول ..

عندها انحنى واحد من هذه المخلوقات ، والتقطه
بين فكي التمساح العظيمين .. ثم وقف نافسًا قامته
وفريسته بين فكيه تتلوى .. المشهد الذى ذكرنى بما
تفعله الديناصورات فى السينما ..

لكن المذهل هاهنا أن قوة الفكين كانت غير عادية ..
فالوحش وفريسته متقاربان نوعًا فى الوزن والطول ..
وسرعان ما توارى الوحش وراء الأشجار ..

أعطيت (بودرجا) ظهرى ، ورحت أفرغ طلقات
البندقية فى اتجاهات عشوائية .. وراح هو يفعل
الشيء ذاته ..

وكان أن لمحت ثغرة بين هذه الوحوش ، التى
تزايد عددها إلى ما لا يقل عن عشرة ، فصحت فى
(بودرجا) :

- « هلم ! سنحاول الفرار من هنا ! »

واندفعت أركض ، ومررت بصعوبة جوار أحدها ،
فأطلق فحيحًا مؤذيًا للأذان ومال بجذعه نحوى .. ثم
انطبق الفكك بعنف ، فكان لهما صوت كباب خزائنة
حديدية ينغلق عنوة ..

لحسن الحظ أن هذه الوحوش بطيئة نوعًا .. مثلها
مثل كل الزواحف التى تمشى على قدمين وتجر ذيلها
وراءها ..

ولحق بى (بودرجا) بكثير من العسر ، ورحنا
نركض بين الأشجار .

★ ★ ★

- « آى ! »

تعثر الرجل وسقط على الأرض ، فهرعت أعينه ..

- « ماذا هنالك ؟ »

كان ثمة شيء على الأرض .. شيء له هيئة الإنسان ..

وفي الضوء الخافت عرفت أنه أحد هؤلاء القراصنة الذين كانوا يطاردوننا .. وكان مصابًا بفضاعة .. ولم أستطع أن أحدد تمامًا هل هو حي أم ميت .. فلو كان حيًا فهو إلى الموت أقرب ..

كان يرتدى حزامًا مليئًا بأجسام كروية لامعة .. فتابل غاز .. هذا مؤكد ..

انتزعت ستة من تلك الأجسام التي كانت مخصصة لقتلنا من حزامه .. وناولت (بودرجا) ثلاثة منها .. ثم مددت يدي فانتزعت جزءًا معدنيًا يبدو أنه كان المسنول عن تأمين القنبلة ، وحبست أنفاسي .. ثم طوحتها بعيدًا بعيدًا .. باتجاه الوحوش التي صادفناها وراء حاجز الأشجار ..

(بلومب) !. صوت انفجار مكتوم .. ثم لا شيء .. لكنني أدركت أن الغاز قد بدأ ينتشر ..

تساءل (بودرجا) :

- « هل تصلح هذه ؟ »

- « يجب أن تصلح .. إن الوحوش كائنات حية

على كل حال .. والآن لنبتعد عن هنا .. »

لم تكن هناك رياح .. لذا كان الحظ حليفنا وإلا صرنا في مأزق لعين .. ورحنا نركض دون هدف نحو ما ظنناه الخلاص ..

وخلف الأحرار على يميننا تحرك واحد من هذه الأشياء .. فصرخت في (بودرجا) :

- « (بودرجا) .. دورك ! »

وطارت القنبلة خلف حاجز النباتات المتشابك .. و(بلومب) ! بينما واصلنا نحن الركض ..

- « دكتور ! »

صرخ (بودرجا) حين برز من وراء الأشجار فكان عملاقان أطبقا على نراعه ، وعلى الفور رأيت واحدًا من تلك الكائنات يخرج لنا ، وهو يحاول انتزاع ذراع الأسود البائس ..

ودون تردد أحكمت التصويب على الرأس - رأس الوحش طبعًا - وكان هذا سهلًا لأنه ضخم وقريب بما يكفي ، وأطلقت رصاصة واحدة وأنا أغمض عيني .. وكانت النتيجة باهرة .. لقد سقط المخلوق أرضًا

١٢ - لمسات نهائية ..

قال بروفيسور (بارتليه) وهو يسترخى فى مقعده :
- « لقد فقدتم ٥٠ ٪ من أفراد الحملة .. وهذا يعتبر فشلاً بكل المقاييس .. لكنكم أرحتم الستار عن هذا اللغز المبهم .. »

قلت له وأنا أجرع العصير البارد الذى جلبه لى :
- « أى ستار ؟ أنا لم أفهم شيئاً حتى اللحظة .. »
قال وهو يتفقد بعض الأوراق أمامه :

- « إن هناك تنسيقاً حقيقياً لإنتاج الأسلحة الكيماوية هاهنا ، وقد تمت الاستعانة ببعض العلماء الألمان والأمريكان .. هذا المعمل الذى تم بناؤه فى الأدغال فى الستينات قد نسيه العالم .. وقليلون فى (ياوندى) يعلمون أنه موجود ، وأنه تحت إدارة أحد علماء النازى الذى صار شيخاً فى الثمانين من عمره : الهر بروفيسور (هانز زولبيرج) .. »

- « ظننت النازيين مطاردين فى كل أرجاء العالم ، ومن المستحيل أن يتعاون أمريكي معهم .. »

فاهتزت الغابة لصوت سقطته .. وسقط (بودرجا) جواره بعدما ارتخى الفكأن ..

- « مرحباً بعودتك .. والآن انهض واجر ! »

وواصلنا الركض .. وأطلقنا بضع طلقات .. واستعملنا ثلاث قنابل أخرى ..

ولم نصدق أننا نجونا ، حتى إننا ظللنا نجرى داخل القرية كالبلهاء ، والأهالى يرمقوننا غير مصدقين ولا فاهمين ..

لقد كنا قريبين جداً من النجاة .. لكننا لم ندر ذلك .. ومن الأحرش دوى الزئير الغاضب المجنون

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

- « أحياتنا تطفى المصلحة على المبادئ .. إن (زولبيرج) هو أحد الحجج في حرب الغازات .. ومن الخسارة فقدته بالنسبة لمن يحلمون بتحويل العالم إلى مقبرة كبيرة .. »

ثم استطرد وهو يوقع شيئاً بقلمه :

- « الآن يقوم الجيش بتمشيط الغابة كلها .. ويبدو أن لجنة تفتيش من (الأمم المتحدة) قادمة .. ستكون هناك مادة لا تنتهي من الفضائح السياسية .. »
عدت أسأله في حيرة :

- « وتلك الكائنات العجيبة ؟ التماسيح التي تمشي على قدمين ؟ هل قاموا بتربيتها ليمنعوا الفضوليين ؟ »
- « ليس إلى هذا الحد .. لقد كانوا يعلمون بوجودها .. وهذا السلك الشائك الذي وضعوه هو من أجلها خصيصاً .. إنهم أوجدوا تلك الكائنات لكنهم لم يتعمدوا ذلك ! »

- « لا أفهم .. »

ضيق عينيه ليبدو كلامه خطيراً .. وقال :

- « أنت رأيت أن المعمل يتخلص من فضلاته في النهر .. هذا خطر أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. ولكن .. »

- « النهر هو موضع تكاثر التماسيح .. فلو تصورنا أن التماسيح تتعرض لهذا الخطر البيئي طيلة ثلاثين عاماً ؛ يمكننا أن نتصور حدوث تشوه للأجنة .. هذا التشوه - مع تراكم الطفرات كل هذه السنين - أدى إلى خلق سلالة من التماسيح تمشي على قدميها الخلفيتين ، ولها عدد سامية .. وهذه التماسيح بحاجة إلى الغذاء .. لهذا تقضى وقتها في النهر بانتظار الفرائس ، فإن لم تجد تخرج إلى الدغل تجول فيه بحثاً عن تصادفه من بانسين .. »

أشعر جلدي لدى تخيل المشهد ، وقلت :

- « إذن .. قد تسبب العلماء دون قصد في خلق

أشرس حراس يمكن تصورهم .. »

- « بالتأكيد .. إن الطبيعة لا تمزح ولا تحب من

يداعبها .. لكن هؤلاء العلماء لم يربطوا بين نشاطهم

وبين (روح الأدغال) .. فقط كانوا يعرفون أن الغابة

ملأى بوحوش غريبة .. ولو كانوا يعرفون حجم

الخطر ما جازفوا برجالهم وكلابهم في أثناء مطاردتكم ..

وعلى كل حال لقد اصطاد رجال الجيش أكثر هذه

السلالة برصاصهم .. وقد أرسلوا لنا جثتين كى
نشرحهما .. »

- « لكننا قابلنا أسرة غوريللا تنعم بسلام تام .. لم
لم تهاجمها تلك الوحوش ؟ »

- « إن الغوريللا حيوان مربع ذو هيبة .. قلما
تهاجمه الحيوانات الأخرى .. لذا تجد الغوريللا تعيش
فى سلام تام جوار الأسود والأفاعى والخرائيت ..
فليس لديها ما تخشاه .. »

كان الشرح وافياً أزال نقاط الغموض أو أكثرها ..
لكنى كنت أملك المزيد من الأسئلة :

- « هل وجدوا (بارساد) ؟ »

- « نعم .. وكان ميتاً كصخرة .. أعتقد أنك لم
تحبه كثيراً .. فلا تدع الحزن على فقده .. »

هزرت رأسى فى أسى :

- « كونى لم أحبه لا يعنى أنى أتمنى هلاكه .. لقد

كان شجاعاً لكنه هلك بسبب الجشع .. »

- « لقد هلك فى معركة .. هذا هو أقصى ما يتمناه

من كان مثله .. فهو لم يُخلق للموت فى فراش
مثلنا .. »

ثم أغلق الملف أمامه ، وقال بوجه صارم :
- « والآن .. انتهت إجازتك .. عد إلى عملك والويل
لك إن تراخيت لحظة ! »

★ ★ ★

كان البيض مدفوناً تحت الأوحال جوار نهر
(كرا - آل) ..

وراحت أنثى تمساح تزحف حوله .. لم يكن هذا
بيضها .. لكن إناث التماسيح تعنى بالبيض - أى
بيض - وتحرسه بعناية حتى يفقس ، وهى غريزة
أمومة متطورة طالما أثارت حيرة علماء الزواحف ..

بعد قليل سيفقس هذا البيض .. لكن التماسيح التى
ستخرج منه تختلف .. إن لها مزايا بيولوجية غريبة
كالقدرة على حقن السم ، والقدرة على المشى على
قدمين خلفيتين ، وما إلى ذلك ..

كنا نتمنى أن نتابع قصة هذه التماسيح الوليدة ،
لكنها ليست ضمن نطاق اهتمامنا فى (سافارى) .

د . (علاء عبد العظيم)

أنجا واتديرى

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

سافاري

مغامرات طبيب شاب يجاهد

لكي يظل حيا ويظل طبيبا

روايات
مصرية
الحبيب

٨٢٨

خاضقوا الأجساد



د. احمد خالد توفيق

يحكون - أولئك (البانتو) - عن (روح
الأدغال) التي تنتزع الأزرع وتمزق الأقدام ..
يحكون عن أماكن محرمة في الدغل لا يمكن أن
يدخلها إلا مخبول .. يحكون عن سحر قديم ..
وعن لعنة دائمة .. وعن أرواح غاضبة ..
يحكون وما أكثر ما يحكى (البانتو) ..
لكن الأمر - في هذه المرة - لم يكن أسطورة
على الإطلاق !!

www.dvd4arab.com
Hany3H

العدد القادم
الحريق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
KATV - 19

الشمس في مصر ١٥
وسأيد الله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم